

روائع المسح العالمى

٤٧

الزفاف الدامى

تأليف
فدريكو جبريا لوزكا

ترجمة
والترجمة
الدكتور حسين مؤنس

مراجعة
الدكتور محمود على مكى

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

هذه ترجمة من الأسبانية لمسرحية :

Federico Garcia Lorca, Bodas de Sangre.
Buenos Aires, 1958.

مقدمة

الكلام عن فديريكو جارتيا لوركا كثير ، لأنه واحد من أولئك الكتاب والشعراء الذين نهجوا في كل شيء كتبوه نهجاً خاصاً بهم ، نابعاً من طبيعتهم وحده ، معبراً عن مزاج لا يشركهم فيه غيرهم . ومن هنا فلا بد من تقديم وتعريف وتعليق ، حتى يستسيغ القارئ ما يقرأ من كلامه ، ويقترب قدر الامكان من المرامي التي قصد اليها والصور التي أراد رسمها في شعره ومسرحياته .

والشعر — أو المعنى الشعري — المترجم من لغة الى لغة يحتاج بطبعه الى تقديم وشرح ، لأن الشعر اذا نقل من لغة الى لغة فقد معظم جماله وخصائصه الشعرية ، ولا تجدى في ذلك ترجمته شعراً ، بل ربما كان هذا أضر بالشعر المترجم من نقله ثراً ، لأننا في هذه الحالة نقحم شاعراً على شاعر ، ونعرض المعاني لانحراف ثان الى جانب الانحراف الذي لا مفر منه مع الترجمة .

ولوركا — بصورة خاصة — شاعر لا يتيسر الوقوف على

مراميه الا فى مشقة ، لأن معانيه وصوره الشعرية أشبه
نباتات برية تظفر وحشية من الأرض ، لا ضابط لها من منطق
معروف أو نظام مألوف ، فهى بنات فكر جياش بكل شاردة
آبدة ، تتدفق المعانى مع فيض الطبع العزيز فلا يلاحظها
القارئ الا فى عناء ، كأنه يتأمل تياراً مندفعاً يسيل فى أرض
كلها صخور وشعاب .

وليست صعوبة فهم لوركا بقاصرة على من يقرءونه مترجماً
الى لغة أخرى ، فان قراءه من أهل لغته ذاتها يختلفون فى معانيه
ومراميه ، لأنه لم يكن مجرد شاعر جديد أو مجدد بالنسبة
لمن عاصره أو سبقه من شعراء اللغة الاسبانية ، بل كان شيئاً
فذاً فريداً فى بابه ، يصوغ ما يخطر له من المعانى فى القوالب
التي يصبها فيها مزاجه الشعري . فقد يصوغها فى الأوزان
التقليدية ، وقد يرسلها فى أوزان الشعر الشعبى أو أغنيات
المهود أو الأزجال أو الرباعيات أو أناشيد عيد الميلاد ، أو أى
قالب شعري آخر ، ويصور المعانى كما تسنح له ، فهى حيناً
رقيقة الرقة كلها ، وحيناً آخر جامدة جافية كالصخور ، وهى
فى كل حين غريبة فريدة فى بابها تنم عنه من بعيد . وهل هناك
شاعر غير لوركا يقول الأبيات التالية فى قصيدته الفريدة
« شاعر فى نيويورك » :

انتى أفضح كل الناس
الذين يتجاهلون النصف الآخر
النصف الذى لا يمكن اتقاذه
والذى يبنى جبالا من الأسمت
حيث تخفق قلوب
هذه الحيوانات الصغيرة المنسية
وحيث سنسقط جميعا
فى اليوم الأخير لآلات الحفر .
انتى أبصق فى وجوهكم
والنصف الآخر يسمعى
وهو يلتهم ويتبول ويطير .. فى طهارته !

والنصف الآخر المشار اليه هنا هم الزنوج والفقراء
والمبوذون فى العالم الأمريكى الذى عرفه لوركا أثناء اقامته
القصيرة فى الولايات المتحدة ، وقد عبر فى هذه السطور
القليلة عن غضبه على الذين كانوا يضطهدونهم ويعاملونهم
بازدراء ، ويعهدون اليهم بأثق الأعمال كبناء عمائر ضخمة
كالجبال من الأسمت ، ولهذا فهو يحرص على أن يقول انه
يبصق فى وجوه الظالمين فى حين يسمع المظلومون صوته وهم

يلتهمون ظالمهم ويعبرون عن احتقارهم لهم على النحو الذى
صوره فى البيت الأخير .

ولو عبر شاعر آخر عن غضبه وسخطه بهذه الصورة
الجافية لوقعت من نفس القارىء موقعا سيئا ، ولكانت موضع
انكار من النقاد ، ولكنها طبيعية من لوركا كما خلقه الله وكما
عرفه قراؤه وتقاده ، وربما كانت تلك هى ميزته التى تفرد
بها ، وهو الوحيد بين الشعراء الذى جعل من معان وصور
كهذه شعراً يقرؤه الناس ويستسيغونه .

هذا تنبيه لا بد منه ونحن نقدم هذه الترجمة العربية
للزفاف الدامى ، فهذه المسرحية تكاد أن تكون ملحمة شعرية :
قراءة النصف من كلامها شعر ، ما بين أغان شعبية ورباعيات
تجرى مجرى الأمثال وصور فولكلورية ومقطعات مبتكرة من
شعره . وفى هذا الشعر كله تتوالى المعانى الغريبة والصور غير
المألوفة ، والكثير منها يقع من القارىء موقع الغرابة والانكار ،
وقد يحسب أن مرد ذلك الى الصورة العربية التى صغته فيها ،
ولكن الذين يقرءون هذه القطعة فى أصلها الاسبانى يعرفون
أن هذه الغرابة أصيلة فيه .

* * *

وقد استأنست فى الترجمة بترجمتين : انجليزية وفرنسية ،

وشهدت الترجمة الألمانية على المسرح ، واجتهدت في أن أخفف من وقع الكلمات وفي إيضاح المعاني والرموز ، فلم أصل الى أكثر مما يرى القارئ هنا ، لأننى حرصت أولاً على أن أنقل للقارئ كلام الشاعر كما هو ، بمعانيه ووقعه ونظامه .

وقبل أن أقدم المسرحية الى القارئ أعرض حياة لوركا عرضاً سريعاً ، فان الحياة القصيرة العاصفة التى كتبت لهذا الرجل هى أصدق تفسير لطبيعته كشاعر ولزاجه كإنسان .

ولد فديريكو جارثيا لوركا فى قرية فوينتى باكيروس فى مديرية غرناطة باسبانيا فى الخامس من يونيو ١٨٩٩ . وكان أبوه فديريكو جارثيا رودريجت مزارعاً ميسور الحال واسع النشاط ، وأمه فيثتا لوركا مدرسة واسعة الثقافة بعيدة الذكاء مرهفة الاحساس ، ولوركا يرد إليها الفضل فى توجيهه نحو الموسيقى والشعر ، وكان أبواه على وفاق تام وطموح بعيد ، وكان لهذا أثره فى تربية أولادهما ، وخاصة فديريكو .

نشأ فديريكو جارثيا لوركا عليلاً بعض الشيء ، فلم يفصح لسانه بالكلام الا بعد أن بلغ السنة الثالثة من عمره ، ولم يمش الا فى الرابعة ، ولم تستقم مشيته طول حياته ، وظل اذا مشى عرجاً خفيفاً .

ولكن طبع الشعر ظهر عنده وهو بعد طفل صغير ، فكان

إذا سمع أغنية شعبية مرة حفظها ورددتها ، وفي سن السابعة
كانت لعبته المفضلة عمل مسارح صغيرة . وكان يتصور نفسه
يقود جماعة المنشدين في الصلوات الكنسية ، وكان أبواه
يتسليان بحفزه على تقليد القس في القاء موعظته ، فكان يقلده
في حماس وانفعال ، ويصر على أن يتأثر سامعوه ويظهروا
تأثرهم بالبكاء !

واهتم أبواه بحفزه على القراءة الواسعة وهو بعد صبي ،
فقرأ معظم شعر فيكتور هيجو ، وكان يحفظ الدون كيوخوته
لكثرة ما قرأها . وأتم دراسته الابتدائية والثانوية على يد
الرهبان في الكوليجيو دل سجرادو كوراثون دِخسوس
(مدرسة قلب يسوع المقدس) في غرناطة ، ثم دخل جامعته
ليدرس القانون ، ولكنه أنفق معظم وقته في مطالعات أدبية
واتصالات بالظاهرين من رجال الأدب ، ولهذا غادر جامعة
غرناطة الى جامعة مدريد ، وهناك قضى بضع سنوات دون تقدم
ملحوظ في دراسته ، ثم عاد الى غرناطة حيث حصل على
اجازة الحقوق ، ولكنه خرج من دراسة القانون شاعراً
لا قانونياً ، فلم يتأثر أحد من أبناء غرناطة على أيامه بجوها
الشاعري وتراثها الحضاري كما تأثر هو قبل أن يبلغ العشرين
من عمره .

وكانت غرناطة أوائل القرن الحالى ما زالت تحتفظ بجوها
الشاعرى العربى الملهم ، تتردد فى جوها ذكريات ماضيها العربى
بكل ما حفل به هذا الماضى من عناصر الشعر وأصداء المأسى .
وكانت جماعات العجر — التى تحولت اليوم الى نماذج
سياحية متكلفّة — أضعاف ما هى عليه اليوم من عدد وأهمية .
كانت تلال البياسين وموتشاققر والحمرء عامرة بهم ، تتردد
أغانيهم وأقاصيصهم فى الأسماع ليل نهار ، وتروع الناس
مأسى حياتهم وما تمتاز به من عنف وقسوة وعواطف بريّة
جامحة ، وكان لهذا كله فى نفس الشاعر الشاب أثر بعيد عميق .
وقد كان العصر كله فى بلاد أوروبا جميعاً عصر ولع
بالمأثورات الشعبية واتجاه الى اتخاذها مادة للشعر والقصص
والموسيقى ، ولكن فديريكو لم يكن مجرد سائر فى اتجاه
العصر أو مقلد لشعرائه وفنانيه وكتابه ، وانما هو اندرج فى
الغمار اندراجاً تاماً ، كأنما خلق بطبعه عجزياً أو شاعراً جوالاً
ينشد الشعر الشعبى بأصالة وصدق يدهش لهما سامعه
وقارئه .

وكانت مطالع هذا القرن فى اسبانيا كلها عصر نهضة أدبية
فنية كبرى ، وكان الاتجاه الغالب على أعلام الفن والفكر فى
العصر هو اتجاه التخلص من الماضى وادخال اسبانيا فى أوروبا

ومجارة أدباء فرنسا بالذات فيما ينشئون ويكتبون ، وتلك
هى الرسالة التى تصدت لها الجماعة التى تعرف فى تاريخ
اسبانيا الفكرى بجيل سنة ٩٨ .

ولكن لوركا لم يجر فى هذا التيار ، بل ارتد الى الوراء
والتمس وحيه ومادة الهامه من الطبع الاسبانى الأصيل ،
فبينما كان مارثيلينو منندز يلايو يصدر المجلد تلو المجلد
ليثبت أن اسبانيا لم تكن قط عربية ولا اسلامية ، وبينما كان
رامون دل قاي انكلان يكتب شعراً ومسرحيات يقلد فيها
موياسان ويول قاليرى ومارسيل پروست ، وبينما كان أورتيجا
اى جاسيت يستلهم فلاسفة الألمان فيما يكتب من كتب ويحرر
من مقالات لمجلته الذائعة الصيت « ريفيستا د اوكثيدنت »
لكى يؤكد لنفسه ولقرائه القرابة الوثيقة بين الاسبان والآريين
الشماليين ، كان فديريكو جارثيا لوركا يرتد الى الشروة الفنية
الشعبية الأندلسية يستلهمها ويبعث فيها الحياة وينشئ منها
فنًا جديدًا .

وهو لم يطلب هذه المادة الشعبية باحثاً عن مادة لفننه
فحسب ، بل باحثاً عن نفسه ذاتها ، أو باحثاً عن الروح الاسبانى
الصافى . وقد طلب ذلك مخلصاً كما يطلب الكائن الحى الهواء
الذى لا يعيش بدونه ، ومن هنا فقد كان من الطبيعى أن يبلغ

في انتاجه الى أبعد مما بلغه أحد من معاصريه من أدباء اسبانيا .
ولوركا واحد من أولئك الموهوبين الذين نضجت
ملكاتهم قبل الأوان ، وطفروا سريعاً وأتموا عملهم وهم بعد
في عنفوان الشباب ، وغادروا الدنيا مسرعين كما دخلوها ،
كأنهم شهب لمعت وأضاعت واحترقت ومضت الى حال سبيلها .
ففيما بين الخامسة عشرة والعشرين كان يقرأ ويكتب في
حماس ونهم ، وكان يجيد العزف على القيثارة والبيانو معاً ،
بل بلغ من اجادته العزف على البيانو أن رجلا من الظاهرين في
عالم الفن اذ ذاك وهو فرناندو دِ لوس ريوس رئيس المركز
الفنى في غرناطة سمعه يعزف سوناتة لبتهوفن فدهش لبراعته
وتولى رعايته من ذلك الحين . ومع أن لوركا لم يواصل السير
في طريق الموسيقى كما رجا دِ لوس ريوس ، الا أن هذا
الأخير ظل يوجهه ويواليه بالنصح والرعاية طول حياته .
من غرناطة انتقل فديريكو جارثيا لوركا الى مدريد ،
ودخل غمار الحركة الفكرية التي تدافع عابها في العشرينات
من هذا القرن واتصل بالظاهرين من رجال الفكر ، وبدأ طريقه
في الانتاج الأدبي بقصائد قصيرة كان ينشرها بين الحين والحين .
وقد استلقت قصائده هذه انتباه كبار الشعراء والكتاب رغم
قلتها ، وتنبه رجال مثل أثورين وخوان رامون خيمينيث

والأخوين الشاعرين أنطونيو ومانويل ماتشادو وميجيل أونامونو الى الملكة الشعرية الفريدة التي امتاز بها هذا الشاب . واشتهر اذ ذلك في الأوساط الأدبية بالقاء أشعاره بنفسه ، كان يلقيها في حماس وانفعال ، وشيئاً فشيئاً أصبح الناس يعتبرونه أكبر الموهوبين من ناشئة الشعراء .

وشرع في نفس الوقت يكتب للمسرح ، وفي سنة ١٩٢٠ أخرجت أولى مسرحياته المسماة « سحر الفراشة » في برشلونة دون توفيق كبير ، ونشر أول دواوين شعره « كتاب أشعار » فلقى من الاقبال أكثر مما لقيت المسرحية بكثير . وبعد ذلك بثلاث سنوات كتب مسرحية صغيرة لمسرح الدمى عنوانها « الطفلة التي تسقى الزهر والأمير الكثير السؤال » ، ووضع لوركا بنفسه تصميم المناظر ، واختار لمصاحبة حركات الدمى قطعاً من موسيقى دييوسى وراقل وألبينيث ويذرل . وقام بتسويقها مانويل دي قايًا ، وصاحب بنفسه التمثيل على البيانو .

وفي هذه الفترة من عمره بدأ يرسم لوحات غريبة التكوين تشبه ما بدأ به وسار عليه صديقه سلفادور دالي ، وقد ربطت الاثنين أحدهما الى الآخر صداقة متينة . وفي سنة ١٩٢٧ أقام معرضاً للوحاته في برشلونة ، وقد طبع الكثير من هذه اللوحات

مع مجموعة كتاباته كلها التي أشرف عليها صديقه الشاعر
خورخه جيئن ، وهي تبدو للرائي بألوانها الباهتة وهيئاتها
الغريبة وكأنها تصوير بالألوان لما خط بالقلم من شعر وثر .
ولا يمكن القول بأن لوركا كان شاعراً ناثراً مصوراً
وموسيقياً ، ولكن الذي يمكن قوله هو أنه كان فناناً مطبوعاً
يرى الحياة ويحس بها باحساس الفنان وخياله ، وهذه كلها
كانت أساليب للتعبير عن أحاسيسه وتخيالاته .

وفي ذلك الحين — سنة ١٩٢٧ — ظهر له شعر كثير
يستوقف النظر ، منه قطعتة المسماة « قصيدة الغناء العميق »
يُويما دل كانتِ خوندو) . والغناء العميق ، أو الكانتِ
خوندو ، أحد نوعين رئيسيين من الغناء الأندلسي الأسباني :
الأول هو الفلامنكو وهو الانشاد لجمهور كبير من السامعين
يصوت عال ونغم مفرح بمصاحبة الجيتاراً وهي القيثارة ؛
والغناء العميق وهو أشبه بالمناجاة : ينطوي المعنى على قيثارته
ويبثها أشواقه ونجواه ، ومن هنا سمي بالغناء العميق ، أي
الذي يصدر من أعماق النفس .

ولكن قصيدة لوركا ليست نجوى ولا بثاً للواعج الهوى ،
إنها تصوير لحياة العجز حول غرناطة في صور سريعة قصيرة
كأنها ومضات ؛ مثال ذلك :

ميتاً ظلّ في عرض الطريق
وقد غاص في صدره خنجر
دون أن يعرفه أحد
كم اضطرب نور مصباح الطريق !
يا أمّاه !
كم اضطرب نور المصباح الصغير
في الطريق !
كان الوقت فجراً ، وما من أحد
استطاع أن ينظر في عينيه
المفتوحتين في الهواء القاسى
لأنه ظلّ طريحاً في عرض الطريق
وقد غاص في صدره خنجر
ولم يعرفه أحد !

وأمثال هذه الصور الحزينة ، مصوغة في أبيات قصار ذات
لفظ قوى وروى يشبه الدوى ، كانت لوناً جديداً من الشعر
أو التصوير الشعرى لفت الأنظار الى صاحبها وأوسع له مكاناً
في عالم الأدب الاسبانى . وأى دارس لتاريخ هذا الأدب
لا يتردد في تعرف لوركا عندما يقرأ :

الموت
داخل خارج
في الحانة

جياذ سود

ورجال بشعون

يمرون خلال حارات ضيقة

يتردد فيها نغم القيثارة

والجو تشيع فيه رائحة الملح

ورائحة دم أتشى

مختلطة بعير الفل المرتعد

المقبل من البحر

الموت

يقبل ويمضى

الموت

يمضى ويقبل

خلال الحانة ..

ولم تلبث هذه المقطعات أن طارت على أفواه الناس من

مكان لمكان ، فأصبح لوركا حوالى سنة ١٩٢٨ أوسع شعراء

اسبانيا شهرة ، خاصة وقد برع فى المقطعات الصغيرة ذات

المعاني البسيطة التى يألّفها الناس ، مثل :

شجرة تفاحى

أصبحت الآن ذات ظل وطيور

ما أكثر ما تطفر بي الأحلام
من القمر الى الرياح

شجرة تفاحي
تخضر منها الأغصان

وقد بلغ لوركا بهذا الطراز الشعري قمته في ملحمة المسماة « ديوان شعر العجر » (ال روماتيرو خيتانو) ، وهي قصيدة طويلة حافلة بعريب الصور والأخيلة ، يتردد فيها ذكر الموت والصراع والدم والثيران والمآسى ، وكل التشبيهات فيها غريبة تفجأ القارئ أول ما يقرأها ، فأنهار غرناطة صغيرة محصورة « كأنها ثيران ميتة في الغدران » و « حقول شجر الزيتون تفتح وتنطوى كأنها مراوح » و « عويل القيشارة يحطم كؤوس العجر » ، وتتردد فيها عبارات مثل « خنجر في القلب » و « كل شيء في الدنيا تحطم » و « لم يبق هناك الا الصمت » وما الى هذه اللمحات الأخاذة التي تترك سامعها ذاهب النفس وراءها .

والى هذه الخصائص ترجع أهمية هذه القصيدة ، التي حددت مكان لوركا كشاعر موهوب ومبشر بطراز جديد من الشعر القوى الطيار غاد بالفحولة الشعرية الاسبانية الى شأو

لوپِ دِ قِيجا وكالدرون دِ لا باركا . نعم ان معانيه وصوره كانت تحير الناس وتذهب بأفكارهم كل مذهب ، ولكن هذا أيضاً كان تجديداً لطراز من الشعر الاسباني ، طراز ملغز معقد يتمثل فيما كتب الشاعر القرطبي لويس دِ جُنَجْرَة المتوفى سنة ١٦٢٧ ، وجدير بالملاحظة أن لوركا كان معجباً به وله في شعره دراسة معروفة .

عقب ذلك مباشرة رحل لوركا الى نيويورك ، والأقوال متعارضة في دوافع هذه الرحلة المفاجئة التي قام بها الشاعر وهو على عتبات مجده ، فمن قائل ان أباه أراد له أن يستزيد من العلم ، ومن قائل انه سئم ما شاع عنه من أنه « شاعر العجبر » وأراد أن يطرق أبواباً جديدة ، ومن قائل ان منافسات شديدة أخرجته وحفزته على الفرار بنفسه من جو الأحقاد ، ولكن يبدو أن ما حجب اليه الرحلة هو عزم صديقه فرناندو دِ لوس رِيْتوس على الهجرة الى أمريكا زمناً ، فرحل الاثنان في صيف ١٩٢٩ ، والتحق لوركا بجامعة كولومبيا ونزل في إحدى دور الطلاب بها .

لم يتأثر لوركا كثيراً بالحياة في العاصمة الأمريكية الكبيرة : لم يتقن اللغة الانجليزية ولا واطب على الدروس ولا اتصل بأوساط الفن والأدب . ظل هناك حائراً تائهاً كأنه كان يبحث

عن مجهول . كان يقضى ساعات طويلة من النهار والليل في
حي هارليم كأنما افتتن بولع السود بالموسيقى ووقع أنغام
رقصهم التي لا تسكت طوال الليل ، ولا شك أنه وجد في
حياة أولئك السود ما ذكره بحياة العجر التي أولع بها
في بلده .

وكان أصحابه هناك من الاسبان أو الاسبان الأمريكيين ،
والى هذه الفترة ترجع صداقته لمصارع الثيران اجناثيو
ساتشيد ميخياس الذي رثاه بعد ذلك بقصيدة مشهورة
ترجمها الى العربية صديقنا الدكتور عبد الرحمن بدوي (مجلة
المجلة ، عدد ٦٤ ، مايو ١٩٦٢) ، وعرف كذلك الناشر الاسباني
آتخيل فلوريس الذي هاجر الى نيويورك واتخذها وطناً .
وقد أحس لوركا هناك بوحدة ووحشة شديتين ، ونفر من
الحياة الأمريكية نفوراً صورته في قصائد جمعها وسمها بعد
ذلك : « شاعر في نيويورك » .

ومن نيويورك انتقل لوركا الى كوبا لالقاء محاضرات في
هابانا بدعوة من « المعهد الاسباني الكوبي للثقافة » فلم تطل
اقامته هناك ولا كانت له تجربة تذكر ، خلا ما يقال من تأثيره
بما رأى هناك من الفقر والتعاسة ودهشته عندما وجد السود
في كوبا يتحدثون عن أنفسهم بقولهم : « نحن اللاتين ! » .

وقد كتب في كوبا مسرحيتين صغيرتين تعدان من ضعيف أعماله : الأولى « هكذا تمر خمس سنوات » ، والثانية « الجمهور » والمراد جمهور المسرح .

وفي صيف ١٩٣٠ عاد الى اسبانيا وقد زايله الفراغ والاحساس بالضيق اللذين ثقلا عليه قبل الرحلة . عاد متجدد الهممة والنشاط ورأسه عامر بالأفكار . من ذلك التاريخ الى وفاته كرس نفسه للكتابة للمسرح ، وكان أول ما كتب المسرحية الخفيفة اللطيفة المسماة « الاسكافية العجبية » وقد مثلت في نفس العام في مدريد .

وكانت تلك السنوات سنوات تطور عميق شامل في أحوال اسبانيا السياسية : انتهت الوصاية التي فرضها عليها پريمو دى ريشيرا سنوات طويلة ، وانفجر الغضب الحبيس في نفوس الاسبان بقوة أذهلت جاراتها من بلاد أوروبا وأندرت بسوء العاقبة ، لأن الانتقال من الضغط البالغ الى الحرية المطلقة دون تمهيد زعزع أركان المجتمع الاسبانى . فقد أعلنت الجمهورية سنة ١٩٣١ وأعلن دستور أطلق الحريات الى آمامد لم يعرفها دستور آخر في التاريخ . وقد أوجس المحافظون والحذرون خيفة من ذلك التطرف ، أما لوركا وأمثاله فقد رحبوا بالدستور الجديد أكبر ترحيب ، خاصة وقد أصبح فرناندو دى لوس

ريوس وزيراً للتعليم ، وكان من أوائل قراراته بسط رعاية الدولة على مسرح الباراكّا وتعيين لوركا وصديقه ادواردو أوجارتي مديرين له .

كان الباراكّا مسرحاً متنقلاً ، وكان لوركا حراً يصنع فيه ما يشاء ، فاعتمد على نفر من شباب الممثلين المجددين المتحمسين ، وأخرج مسرحيات لوب دي فيجا وكالديرون دي لا باركا وثيرقاتس وغيرهم في صور جديدة جريئة ، ومضى مع هذه الفرقة يذرع اسبانيا طولاً وعرضاً ، وتفتحت نفسه للتأليف فكتب وأخرج بعض قطعه الكبرى ، ومنها « الزفاف الدامي » و « الدونيا روزيتا العانس » ، و « الدونيا » لقب اسباني معناه السيدة ، وهو مؤنث « الدون » ومعناه السيد . كتب لوركا هذه المسرحيات بملء خريته كمؤلف وشاعر ومخرج ، وجعلها — من حيث الصياغة — في القالب الاسباني التقليدي القديم : مزاجاً من النثر والشعر والرقص والأغاني . أما من حيث القالب المسرحي فقد جمع به خياله واحساسه الفني الى أقصى ما وصلت اليه روح العصر من أساليب الاخراج المسرحي .

وفي « الزفاف الدامي » بصورة خاصة بلغ تفنن لوركا مداه ، فالمنظر لوحات فنية يشترك اللون والضوء والرسم

المسرحى فى اعطائها قوة بالغة ، والحوار جمل قصار حافلة
بالمعانى كأنها ايماءات ، والشعر قصائد طويلة حيناً ومقطعات
قصار حيناً ، وأغنيات مهود حيناً ثالثاً ، وقد نجد فيه أغنيات
أطفال أو أهازيج شعبية ، ولكن ذلك كله محمل بطاقة درامية
لا نعرفها عند كاتب آخر ، ويشعر القارئ والمتفرج أن كل
بيت فيها يشير الى المأساة التى تنطوى القصة عليها أو الى
بعض تفاصيلها ، كما يلاحظ فى أغنية المهد الطويلة التى تشغل
معظم المنظر الثانى من الفصل الأول .

وطار صيت لوركا كمصمم ومخرج مسرحى الى جانب
شهرته كشاعر وكاتب ، وبلغ صيته الأرحنتين ، فاستدعوه
ليعرض مسرحياته واخرجه الجديد لمسرحيات قديمة . ولقى
هناك من النجاح ما لم يلقه أى اسباني آخر قبله أو بعده ، حتى
لقد بلغ عدد من شهدوا اخراجه لمسرحية السيدة البلهاء
(لاداما بوبا) فى حلبة مصارعة الثيران فى بوينوس آيرس
ستين ألفاً فى حفلة واحدة .

وعاد لوركا الى اسبانيا يجر وراءه شهرة تفوق ما خرج به
منها . عاد عامر الذهن بالأفكار الجديدة ، فكتب مسرحية
« بيرما » أو مأساة امرأة عاقر وأخرجها سنة ١٩٣٥ ؛ وفى
نفس العام أخرج مسرحية « الدنيا روزيتا العانس » اخراجاً

جديداً . وفي ذلك العام أيضاً أصدر مجموعة أشعار جديدة تحت عنوان «ديوان التسماريت» وأعيد نشر دواوينه ومؤلفاته السابقة في اسبانيا وأمريكا اللاتينية . وفي العام التالي ظهرت مسرحية «بيت برناردا ألبا» التي ترجمها الى العربية الأخ الدكتور محمود على مكى ، ومثلت بنجاح على مسارح القاهرة ، وبدأ في كتابة مسرحية جديدة عنوانها «خراب سدوم» .

وفي يوليو من ذلك العام (١٩٣٦) بدأ الجنرال فرانشيسكو فرانكو ثورته العسكرية على حكومة الجمهورية التي كانت قد انحرفت نحو الشيوعية انحرافاً خطراً . بدأت هذه الحركة في شمال المغرب ، وكان اذ ذاك منطقة حماية اسبانية ، ثم عبرت القوات الوطنية الى الأندلس لتبدأ الحرب التي عرفت بالحرب الأهلية الاسبانية ، وكان لوركا قد تلقى دعوة لزيارة كولومبيا في أمريكا الجنوبية والمكسيك في أمريكا الشمالية ، ولكنه فضل أن يقضى الصيف في غرناطة كما كانت عاداته . ولم يكديستقر هناك حتى ورد على مدريد الخبر بأنه قتل في الطريق من غرناطة الى سيقط رأسه : فوينتى باكيروس . وقد مات في ظروف غامضة حتى زعم بعض الناس أن القوات الوطنية أعدمته ، وهذا غير صحيح ، لأن لوركا لم يكن له ميل سياسى

معين ولا وضع في السياسة ولا تحمس لمذهب ، حتى لقد
سخر من رجل سأله عن مذهبه السياسي فقال : اننى كاثوليكي
شيوعى فوضوى متحرر تقليدى ملكى .. أنا ذلك كله فى آن
واحد ..

والحق أن هذه الفترة بالذات ، فترة بدء الحرب الأهلية ،
كانت فترة اضطراب شامل انطلقت فيها أحقاد كامنة وسعى
الناس بعضهم ببعض ، وراح الكثيرون ضحايا دسائس
وشائعات كاذبة ووشايات لم يعن أحد بتحقيقها ، لأن الجانبين :
الجمهوريين والوطنيين شملتهما عصبية وخوف واسراع الى
القبض على من وجهت اليهم تهمة أو أُلقيت فى حقهم وشاية
واعدامهم أو القائهم فى غيابات السجون ، وقد ضاعت دماء
الكثيرين هباءً فى هذه الفوضى دون أن يعرف أحد على وجه
التحقيق فيهم كان السجن أو القتل ، أو من الذى قتل ومن
الذى قبض ، ومن أسف أن لوركا كان أحد الذين هلكوا فى
هذا الطوفان .

وكانت سن لوركا يوم قتل قرابة السبعة والثلاثين عاماً ،
أى أنه كان فى عنفوان شبابه ، ولكنه كان قد أثبت اسمه فى
سجل الخالدين فى تاريخ الأدب العالمى ، وهو — رغم العمر

التصير الذى عاشه — واحد من أظهر أدباء هذا القرن وعلم
من أعلام الأدب الاسبانى على مر العصور .

مسرحية الزفاف الدامى

أعمال لوركا المسرحية قليلة العدد اذا قيست بعدد ما خلفه
من بلغ مثل شهرته من الكتاب ، وهى الى جانب ذلك مسرحيات
قصار ، فالزفاف الدامى لا تزيد صفحاتها على المائة ، وهى مع
ذلك أطول مسرحياته ، ولكنه عرف كيف يحتمل السطور
القليلة قوة درامية لم يبلغها الكثيرون من أعلام الكتاب
المسرحيين فى أضعافها طولاً ، لأنه كان يختار اللفظ القوى
المثير ويرسل الجمل التى تفيض قوة وحيوية . وكان يمزج
الشعر بالنثر فى مسرحياته ، حريصاً دائماً على أن يكون الشعر
كأنه ومضات برق تهز النفس هزاً عنيفاً . ولم يتخل عن طريقة
الجمع بين الشعر والنثر الا فى « بيت برناردا ألبا » ولكن ثرمه
فى هذه المسرحية وغيرها شاعرى الروح والطابع ، لأن لوركا
فى حقيقته كان شاعراً ، يفكر بخيال الشاعر ويعيش بحساسيته ،
وبالنسبة لرجل كهذا لا فرق بين شعر ونثر .

و « الزفاف الدامى » فى رأى معظم النقاد هى أجمل
مسرحيات لوركا وأقواها موضوعاً ، وهى واحدة من ثلاث

مسرحيات تسمى الثلاثية الأندلسية ، والاثنتان الأخريان هما
« بيرما » و « بيت برناردا ألبا » ، وربما ضم بعضهم الى هذه
الأندلسيات مسرحية « ماريانا بينيدا » . وهذه المسرحيات
الأندلسية التي كتبها لوركا تمتاز — رغم غرابة الشعر الذي
تحتوى عليه — بواقعية تستوقف النظر في رسم الشخصيات
والمواقف ، وبمهارة فريدة في تصوير العواطف الجياشة التي
تتفجر تفجر البراكين ، وتمتاز بصورة خاصة بغلبة العنصر
النسائي عليها وميل لوركا الى القول بأن المرأة هي التي تسود
حياة البشر ، وهي القوة الدافعة لحركة المجتمع .

وللناقد الأمريكي ادوين هونيغ رأى طريف في هذا
الموضوع ، نعرضه هنا موجزاً لأنه يلقي ضوءاً كاشفاً على
طبيعة العنصر النسائي في المسرحيات اللوركية الأندلسية . من
رأى هونيغ أن بطلات لوركا صور حديثة لطراز من النساء
معروف في الأدب الاسباني كله : طراز المرأة الجياشة العواطف
التي تبدو وكأنها كل شيء في المجتمع . ولوركا يصور أولئك
البطلات وكأنهن مجالات مغناطيسية تجلب على أنفسها المآسي
بصورة حتمية ، وهن يجتلبن المآسي بطبعهن الحار وغريرتهن
الجياشة . وهو يصور بطالاته في صورة « جزائر » قائمة بنفسها
في بحر الحياة ، لا تخضع لقوانينها أو لمنطقها ، واذا شاءت

الحياة أن تخضعن لنظامها فلا مفر من أحد أمرين : إما أن تتخطم البطلة أو يتخطم منطلق الحياة نفسها . ففي مسرحية « ماريانا بينيدا » تنتهي البطلة الى حبل المشنقة ، وفي « برناردا ألبا » تنتحر البنت الصغرى ، وفي « الزفاف الدامي » تتهدم الحياة حول العروس وتظل هي في قيد الحياة الى النهاية .

كتب لوركا مسرحية « الزفاف الدامي » سنة ١٩٣٣ ، وأخرجت على المسرح في مدريد في نفس السنة ، وخلال سنوات قليلة ترجمت الى معظم لغات الدنيا ومثلت على مسارحها من موسكو الى نيويورك الى بوينوس آيريس ، وسر نجاحها هو روح المأساة الذي يشيع فيها من أول كلمة الى أن ينزل الستار ، فهي تقوم على عداوة قديمة بين أسرتين من رجال أشداء ونساء عنيدات كأنهن الصخر قوة وثباتاً .

وللقصة بطلتان : أم عفية شديدة فقدت زوجها وابناً ولم يبق لها الا ولد واحد ، وفتاة متوحدة مع أبيها في مزرعة نائية عن العمران ، وهذه الفتاة يضطرب صدرها بحب حيس لم يكتب له الفرج بالزواج ، ويتقدم لخطبتها الولد الوحيد الباقي للأُم التي ذكرناها ، وهي تقبل الزواج منه لتهرب من غرامها الدفين . وتزف بالفعل الى عريسها ، ولكن عاشقها القديم لا يزال يحوم حولها حتى يضل عقلها فتهرب معه ليلة الزفاف ، وتنتهي

المأساة بأن يقتل الرجلان أحدهما الآخر ، وتظل هي والأمم
الشكلي وجهاً لوجه في مشهد بالغ العنف والغرابة ، وعلى هذا
المشهد ينزل الستار .

وموضوع القصة على هذا صغير ، فهو لا يخرج عما قلناه ،
ولكن لوركا استطاع أن ينسج حوله ثلاثة فصول من سبعة
مناظر تقيض حيوية وعنفاً وقوة ، واستخدام في الكثير من
مشاهدها الشعر الشعبي استخداماً بارعاً . فالمقطعات التي
يتكون منها المنظر الثاني من الفصل الأول ، والمنظر الأول من
الفصل الثاني ، ثم المنظر الأول من الفصل الثالث ليست مجرد
مقطعات شعبية بل كلها اشارات ورموز الى نواح من المأساة ،
ويصل هذا الشعر ذروته في المنظر قبل الأخير حيث نجد لوركا
يبتكر ابتكاراً جديداً بديعاً ، وهو تجسيد معان مجردة مثل

X
الموت وأشياء محسوسة مثل القمر في هيئة شخصوس يراها

الناس وتتحدث فيسمعونها ، وهذا هو الذي يضمن على المنظر

الأول من الفصل الثالث — وهو منظر طويل لا يحدث فيه

شيء — قوة وحيوية ورهبة .

والكثير من مناظر هذه المسرحية أشبه بفواصل شعرية ،
فهذا المنظر الذي أشرنا اليه في الفقرة السابقة والمنظر الثاني من
الفصل الأول والمنظر الأول من الفصل الثاني كلها من هذا

الطراز ، والشعر فيها كلها غريب غامض على النحو الذى تحدثنا عنه فى أول هذا التقديم ، ويحس الانسان وهو يستمع اليه أو يقرؤه وكأنه يتأمل لوحات لبابلو بيكاسو أو سلفادور دالى : يدهش ويتعجب وقد يستنكر ، ولكنه لا يستطيع الا أن يعجب بالخيال الخصب الجامح والقوة الفنية التى يتضمنها الشعر أو تنطوى عليها خطوط اللوحة ، وهو اذا ردد الفكر فى الشعر استبان فيه رمزاً بعيداً الى عنصر المأساة فى القصة ، وأحس رغم كل شيء أن هذا الشعر الغريب يهيب النفس للقمة التراجيدية التى تقترب فى بطن ، كأن هذه الأبيات سحب تتجمع شيئاً فشيئاً ورياح تتزايد قوة لحظة بعد أخرى حتى تبلغ العاصفة مداها ، ويبدو هذا بوضوح فى مشهد العرس حيث نرى العاصفة تتجمع من وراء أناشيد الفرح ورقصه وموسيقاه ، وهذا المشهد بالذات يعتبر من أجمل ما كتب فى الأدب المسرحى على الاطلاق .

وخلال المسرحية كلها نشهد صراعاً عنيفاً بين الغرائز الجامحة التى تريد أن تنطلق الى مداها وقواعد المجتمع التى تريد أن تستقر وتتوطد ، فالحقد والتأثر يهددان النزوع الطبيعى نحو الاستقرار والرخاء ، والأم تصور الحقد والسعى نحو التأثر ، ولكنها مع ذلك تريد لابنها أن يتزوج ويسعد . ووالد

العروس يرى في زواج ابنته سييلا لمزيد من الأرض والثروة ،
والخطيب يريد أن ينسى ثأر أبيه وأخيه ويسعى للزواج ليطمئن
ويسعد ، والعروس تجتهد في أن تهرب من الحب الذي يملأ
قلبها ويهدد كيائها كله الى الزواج من رجل يكفل لها الراحة
والهناء . ولكن تعطش الأم للانتقام ورغبة العروس في ارواء
حب قديم يزداد مع الأيام عطشاً ، هاتان العاطفتان تهددان كل
الآمال في الهدوء والاستقرار .

ومن أول الرواية الى آخرها نحس أن هذين الخطرين
يحومان في جو المسرحية كلها كأنهما هياران ثلجيان يهددان
بالانهيار في كل لحظة . وشبح الخطر في القصة كلها هو
ليوناردو ، هذا العجزي القلق الذي يحوم حول العروس كأنه
ضبع تتشمم رائحة الموت ، وفي مشهد العرس بوجه خاص
يبدو لنا في صورة وحش خطر يحوم هنا وهناك في انتظار لحظة
الاتقاض على الفريسة . وقد جعله لوركا يبدو ويختفي
وينتقل من جانب الى جانب وعيناه مثبتتان على الفريسة ،
وصوره في صورة رجل أناني لا يفكر في غير نفسه ولا يخطر
بباله أن الآخرين أيضا ناس لهم أرواح وحقوق ، حتى زوجته
يضحي بها في غير اكتراث .

وكما يحدث عندما يحس أهل قرية آمنة أن وحشاً يحوم

حولها فيخرجون لصيده ويحاصرونه من كل جانب ليردوه قتيلا،
كذلك حدث لليوناردو هذا : انقض على الفريسة وهرب بها
فخرج الناس جميعاً في أعقابه ، وتدور المطاردة خلال المنظر
الأول من الفصل الأخير وتنتهى بمصرع الوحش الكاسر ومصرع
قائد المطاردة وهو الزوج الذى خرج ليشتري شرفه بدمه .
وحديث الحطابين فى أول هذا المنظر ذو قوة شاعرية درامية
كبرى ، وقد عرض فيه لوركا جانبى الصراع : الغريزة الجامحة
والعقل المفكر ، فينما يقول أحد الحطابين ان الانسان ينبغي
أن يتبع هواه ويستجيب لنداء دمه ، يقول آخر انه لا بد من
القضاء على العاشقين الهارين ، فهذا هو الجزاء العادل لمن
يتمرد على المجتمع ويسعى لهدم قواعده .

والمنظر الأخير يشبه أن يكون ذبلاً أو « كودا » فى نهاية
سيمفونية طويلة ، فان الموضوع انتهى فعلاً كقصة بمصرع
الوحش والزوج ، ولكنه لم ينته كملحمة شعرية ، ومن هنا
كان لا بد — فى تصور لوركا — من ذلك الذيل الطويل الذى
يبدو وكأنه ذلك الانحدار التدريجى المحزن فى أنعام أويرا
قاجرية .

وقد يبدو غريباً أن العروس تحاول أن تثبت — بعد كل
ما فعلته — أنها امرأة شريفة ، وهى تقسم أنها ظاهرة لم يطلع

أحد على بياض صدرها ، وأن الذى أصابها جنون أضل رشدها
أو عاصفة طاغية اتزعزعتها من بيتها ، ولكنها استطاعت أن
تتماسك وتحافظ على شرفها ، وهى ترجو أم زوجها أن تقتلها
وأن تقسو فى قتلها قدر ما تستطيع ، ولكن الأم ترفض ، لأن
الكارثة التى نزلت بها قوضت قواعد العالم الذى كانت تعيش
فيه ، فلم تعد تحفل لانتقام أو تحس بالرغبة فيه .

والحديث بين المرأتين إنما هو دفاع عن المرأة الاسبانية كما
يراهن لوركا وغيره من أدباء الاسبان : رمزاً لخصال الشرف
والمحافظة وتصويراً لقوة النفس والجسد ، وهذا هو المحور
الذى يدور حوله معظم مسرحيات لوب دي فيجا وكالدرون دي
لا باركا ، ومن هذه الناحية يعتبر لوركا حلقة طبيعية فى
سلسلة تاريخ المسرح الاسبانى كمسرح قائم بنفسه له خصائصه
ومميزاته .

* * *

بقيت ملاحظتان : الأولى عن المناظر ، والثانية عن شخوص
المسرحية .

فأما المناظر فإن لوركا من أقل الكتاب المسرحيين تفصيلاً
فى شأنها ، فهو يكتفى فى معظم الأحيان بسطر واحد مثل
قوله : « غرفة مطلية الجدران باللون الأصفر » ، أما محتويات

هذه الغرفة وهيئتها فمتروكة للمخرج يتصورها كما يريد على ضوء فهمه للمسرحية وجوها . وقد رأى بعض النقاد أن هذا نقص في الكتابة المسرحية عند لوركا ، ورأى آخرون أنه قصد الى ذلك قصداً ، لأنه لم يرد أن يصور مناظر بل أجواء ، أى أن تفاصيل المنظر لا تهم ، لأن الشيء الرئيسى هو جو المنظر نفسه ، فالقصة كلها تدور فى هضبة قاحلة بعض الشيء عسيرة الأرض يسكنها ناس جفاة فى طباعهم عنف وقسوة ، وللمخرج أن يتصور المنظر بعد ذلك كما يريد .

وهذا بالذات كان دائماً من عناصر نجاح مسرحيات لوركا ، فقد أصبحت مجالات لابداع المخرجين وامتحاناً لقدرتهم على الابتكار والتصوير ، وما من مخرج مجدد فى الدنيا الا سعى الى اخراج « الزفاف الدامى » وابتكر فى تصميم المناظر وتصوير الجو المطلوب لكل منظر ما يسر له علمه وفنه وتجربته ، والمهم على أى حال أن يكون المخرج واسع الاطلاع عارفاً بالبيئة التى تدور فيها حوادث القصة .

ففى المنظر الأول — بيت الخطيب — لا بد أن يكون المنظر بسيطاً ، بل بدائياً ، ولكن تبدو فيه معالم النعمة وثنى من الغنى ، وهذا الغنى يبدو فى الغالب فى صورة منضدة مستديرة من خشب غال توضع فى وسط المنظر يغطيها مفرش

مشغول ، ثم دولاب من الخشب الثمين المشغول في أحد
الجانبين . وأما البدائية فتبدو في هيئات الكراسى الأندلسية ،
وهي كراسى المقاهى البلدية التي تملأ بالقش عندنا .

ومنظر بيت ليوناردو — وهو الثاني من الفصل الأول —
بدائي فقير كله ، لأن ليوناردو هذا رجل قلق لا يستقر على
حال ولا يكاد يجمع مالا ، وتلك هي مأساة حياته .

أما منظر بيت العروس فهو مشكلة ، لأن لوركا يسميه
حيناً مغارة ، وحيناً آخر داراً ، فإذا شاء المخرج أن يصوره
مغارة فلتكن شبيهة بالمغارات التي يعيش فيها العجر في جبل
الساكرو مونتى قرب غرناطة ، وهي مغارات أشبه بالبيوت ،
لا يبدو جو المغارة الا في سقفها ، فهو مقبوء متغضن تتدلى
منه آنية نحاسية وزهور كعناصر للزينة ، وفي هذه المغارات
تجد غرفة الى اليمين وأخرى الى اليسار ، ولا أبواب لهذه
الغرف بل تسدل عليها ستر أشبه بكلمة الصوف .

وهناك أربعة مناظر جديدة بعناية خاصة من المخرج ، وهي :
المنظر الأول من الفصل الثاني ، وقد ذكر لوركا أنه يدور في
قاعة وسطى صغيرة في البيت ، فيراعى أن تكون جدران هذه
القاعة بيضاء ناصعة وأن يكون النور فيها قويا حتى تبدو
العروس في كامل بهائها ، وحتى يستطيع المتفرج أن يتابع

بوضوح سير الحوار بينها وبين ليوناردو . يراعى أن تكون في هذه القاعة « تسريحة » عليها مرآة كبيرة ، ويكون لهذه القاعة بابان واحد صغير على اليمين مثلا ، وهو الذى تدخل منه العروس ، وواحد كبير مقابل له وهو الذى يدخل منه الفتيان والفتيات .

والمنظر التالى له ، ويدور خارج المغارة التى تعيش فيها العروس ، وهذه المغارة هى الدار التى أشرنا إليها . المنظر يدور خارج المغارة ، ومدخلها يبدو فى الصدر فى منحدر جبل من صخر رمادى ضارب الى الزرقة بعض الشيء ، باب المغارة ياب بيت منتظم الهيئة . يلاحظ أن يقع باب المغارة فى طرف من منحدر الجبل لكى تبدو الى جانبه — فى بقية المنظر — صورة الهضبة وسماؤها كما وصفها المؤلف .

والمنظر الأول من الفصل الثالث ، وهو منظر الغابة ، وقد وصفه المؤلف وصفا قصيرا ولكنه كاف . يلاحظ أنه تعمد أن يقول ان جذوع الأشجار ضخمة رطبة ، هذا المنظر رمزى صرف ، أى أن للمخرج أن يتصرف فى تهيئته كما يريد بشرط ألا تكون الغابة استوائية .

والمنظر الأخير من المسرحية وقد وصفه المؤلف وصفا كافيا أيضا ، يراعى ما ينص عليه من فيض النور فى هذا المنظر بحيث

لا تبدو أى ظلال ، حتى تلك التى تستدعيها طبيعة المنظر
واتجاهات الضوء .

أما الملابس فإن الأم تلبس جلبابا طويلا أسود وتضع على
رأسها طرحة سوداء ، كآى ريفية مصرية مسنة ، لا ينبغي أن
يصل الثوب الى الأرض ، بل الى منتصف الساق فحسب .

والأب يرتدى فى كل المناظر التى يظهر فيها بنظوثا ذا لون
حائل وصدارا أسود من الصوف ، وحزامه قطعة عريضة من
القماش ، وقميصه أبيض مقفل حتى العنق . أما فى منظر العرس
فيرتدى بذلة سوداء ذات صدر أسود وقميصا أبيض بدون
رباط رقبة وقبعة سوداء ذات حافة قصيرة مستقيمة ، أما أعلاها
ففى هيئة نصف بيضة .

والخطيب أيضا يرتدى شيئا مشابها ، أما ليوناردو فيراعى
فى ملابسه أنه غجرى شارد كثيف الشعر ظاهر السمرة . فى
بعض الحالات لاحظت أن حزامه من القماش الأحمر .

وملابس العروس هى ملابس الريفيات فى اسبانيا ، وهى فى
الغالب ثوب من قماش رخيص قليل الزينة أو ثوب من قطعتين ،
ويراعى فى تصميمه أن العروس فتاة بارعة الجمال طويلة ذات
صحة طيبة وقوة .

وملابسها فى يوم الزفاف وصفها المؤلف ، ويستحسن

الاستثناس في ذلك ببعض المراجع الخاصة بالأزياء الأندلسية .
أما الفتيان فيلبسون بنطلونا وصدارا أسودين وقمصا
أبيض مقفلا حتى الرقبة ، والفتيات يظهرن في ملابس
الأندلسيات ذات الألوان الزاهية و«الكرانش» الكثيرة التي
ترين النصف الأسفل من الثوب .

* * *

ويستأنس في وضع الموسيقى الخاصة بالأغاني بنوتات
الموسيقى الشعبية الأندلسية ، وحبذا لو رجع المخرج الى
مسجلات من موسيقى جرانادوس وألينيث . ويلاحظ أتى
ترجمت شعر الأغاني نثرا ، ولكنى راغيت في هذا النثر شيئا
من الموسيقية تعين على التلحين والأداء الموسيقي .

* * *

✓
وأشخاص المسرحية نماذج من أهل بيئة قاسية فقيرة ، فهم
أصحاء أشداء فيهم عنف وعصية ، حتى الخطيب ينبغي أن يكون
ظاهر الصحة والقوة رغم هدوئه ولين خلقه . وتتجلى هذه
الخصائص في الرجال والنساء على السواء ، ولكنها تبدو في
أوضح صورها في شخصيات الأم والعروس وليوناردو ، ولكن
لا تبغى المبالغة في تصوير العنف والتمرد ، ففي مثل هذه

المسرحيات لا يبدو العنف في رفع الأصوات والصياح بقدر
ما يبدو في الثبات والتصميم وقوة العزيمة .

وأرجو ألا أكون قد أطلت في هذا التقديم . انما أردت أن
أقدم للقارئ والمخرج والممثل والمتفرج أكبر قدر ميسور من
الملاحظات والايضاحات ، حتى تكمل الفائدة من ترجمة هذه
المسرحية العسيرة وتقديمها للناس ، والله الموفق .

حسين مؤنس

القاهرة ، يناير ١٩٦٤

أستاذ بجامعة القاهرة

ومدير معهد الدراسات الإسلامية بمدير

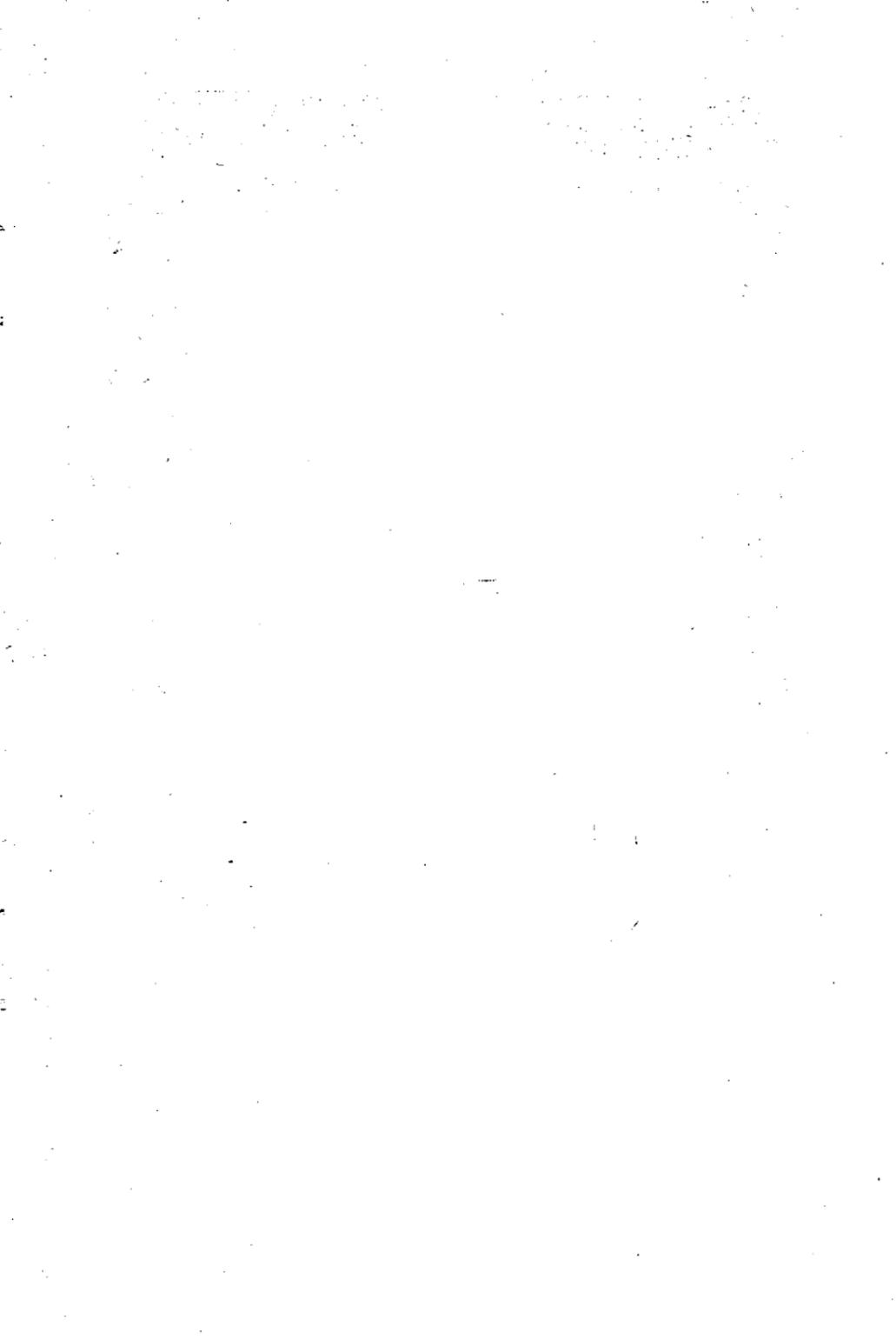
شكر واجب

ترجمت جزءا من هذه المسرحية من سنوات ، ثم تفضل الصديق الأستاذ أحمد حمروش فطلب منى ترجمتها لمؤسسة المسرح ، فقامت بترجمة جديدة كاملة ، ومن ثم فهو صاحب الفضل فى انجازها ، ويسعدنى أن أقدم له جزيل الشكر على ذلك .

وقد راجع الترجمة معى صديقى الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، ولا تفى الكلمات بحقه من الشكر . واستأنست فى حل معضلاتها بالسيد خوان جيريرو ثامورا رئيس قسم المسرحيات بإدارة التليفزيون فى مدريد ، وهو من أعلم الناس بالمسرح وتاريخه وخاصة المسرح المعاصر ، وله فى هذا الأخير كتاب ضخم فى ثلاثة مجلدات يعتبر من أوفى المراجع فيه ، وقد راجعت ما كتبه عن لوركا ومسرحه وأفدت منه . وقام الصديق مصطفى عبد المجيد صالح بمراجعة النص العربى واعداده للطبع فله منى أصدق الشكر .

وتفضل الزميل الكريم الدكتور على الراعي فأشار بنشر
الترجمة ضمن مجموعة الأعمال المسرحية التي تنشرها مؤسسة
التأليف والترجمة بوزارة الثقافة ، ويسرّ النشر صديق عزيز هو
الأستاذ عثمان نوية مراقب الترجمة بها ، ولا يسعني الا أن
أتقدم اليهما بخالص الشكر .

الترجم



شخصيات المسرحية

- ٢ الأم
٣ العروس
٤ الحماة
٥ زوجة ليوناردو
٥ الخادمة
٦ الجارة
٧ فتيان
٨ ليوناردو
٩ الخطيب (العريس فيما بعد)
١٠ والد العروس

القمر ١١
الموت (في صورة متسولة) ١٢

خطابون

فتيان



ملاحظة أسلوب لور
ن الأرتداد المسرو
الاصحاح الرابع باجور

الفصل الأول

المنظر الأول

غرفة مطلية الجدران باللون الأصفر

- الخطيب : (داخلا) أمى !
الام : ماذا تريد ؟
الخطيب : أنا ذاهب .
الام : الى أين ؟
الخطيب : الى الكرم . (يمضى خارجا) .
الام : انتظر .
الخطيب : تريدن شيئا ؟
الام : لم تتناول غداءك يا بنى .
الخطيب : دعيه .. سأكل عنيا . أعطينى السكين .
الام : لماذا ؟
الخطيب : (ضاحكا) لأقطع العنب .
الام : (تبحث عن السكين وتتكلم وهي تصر على

أسنانها) السكين !.. السكين !.. ملعونة كل
السكاكين والشقى الذى اخترعها !

الخطيب : لندع الكلام فى هذا الموضوع .
الأم : (مستمرة فى كلامها) والبنادق والمسدسات
وكل مدينة مهما صغرت ، حتى المناجل
والمذارى .

الخطيب : ليكن ..
الأم : ملعون كل ما يستطيع تمزيق جسد رجل ، رجل
جميل فى مقتبل عمره يخرج الى الكروم أو يمضى
الى شجرات زيتونه التى يملكها لأنها ميراثه .

الخطيب : (مخفضا رأسه) اسكتى ..
الأم : وهذا الرجل يخرج ثم لا يعود .. واذا عاد
فلكى يوضع عليه سعف نخيل أو طبق ملح
حتى لا يتنفخ . لا أدرى كيف تجرؤ على أن
تحمل فى ثيابك سكيناً أو كيف أترك هذه
الأفعى فى الصندوق .

(تخرج سكيناً من صندوق الثياب)

الخطيب : هل قلت كل ما عندك الآن واسترحت ؟
الأم : لو أننى عشت مائة سنة لما تكلمت عن شيء

آخر . لقد فجعتني هذه السكاكين أولا في أيبك .
 كان شابا أشمٌ منه عطر القرنفل ، ولم أسعد
 به الا ثلاث سنوات قصار . ثم أصابتنى في
 أخيك . هل ذلك من العدل ؟ كيف يمكن أن
 شيئا صغيرا مثل مسدس أو سكين يقضى على
 رجل ضخم كأنه ثور ؟.. لن أسكت أبدا . ان
 الشهر تمضى والحسرة تحرق عيني ،
 بل أحس لدعها حتى أطراف شعري .

الخطيب : (في ضجر) ألن تفرغ من هذا الحديث ؟

الام : لا .. لن تفرغ منه أبدا . هل يستطيع أحد أن

يرد على أباك أو أخاك ؟ / ومصير الجناة ؟

السجن ! ما هو السجن ؟ هناك يأكلون .. هناك

يدخنون .. هناك يعزفون على الآلات ! وقتيلاي

نبتت على قبريهما الأعشاب .. انهما راقدان

تحتهما صامتين وقد صارا ترابا .. رجلا كانا

زهرتين ناضرتين .. والقتلة في السجن .. يعيشون

في عافية يتسلون بتأمل الجبال ..

الخطيب : أتريدن أن أمضى فأقتلهم ؟

الام : لا .. اذا كنت أتكلم في ذلك فلأنتى .. كيف

لا أتكلم فيه وأنا أراك خارجا من هذا الباب ؟
اتنى أتكلم لأتني لا أرتاح لحملك السكين ..
لأتني لا أريد أن تخرج الى الحقل .

الخطيب : (ضاحكا) حسبك هذا .

الأم : كنت أفضل لو كنت امرأة .. إذا ما كنت لتخرج

الآن الى التربة ، كنا مكثنا معا نظرز ستائر

ومفارش أو نصنع دُمي كلاب من الصوف .

الخطيب : (يمسك بذراع أمه ويضحك) أماه .. ماذا

لو أخذتك معي الآن الى الكرم ؟

الأم : وما عسى أن تفعل في الكرم عجوز ؟ أكنت

تمضى بي لتواريني تحت شجرات العنب

الصغيرة ؟

الخطيب : (حاملا أمه بين ذراعيه) أيتها العجوز .. أيتها

العجوز الصغيرة .. يا عجوزتي الصغيرة ..

الأم : هكذا كان أبوك يحملني . هكذا يفعل الجنس

الأصيل . هكذا يكون الدم الزكي . لقد

خلّف جدك ابنا في كل ركن . ذلك يعجبني :

الرجال رجال والقمح قمح ..

الخطيب : وأنا يا أماه ؟

الأم

: أنت ؟ ماذا ؟

الخطيب

: لا بد أن أقول لك مرة أخرى ؟

الأم

: (جادة) آه !..

الخطيب

: هل تظنين أن ذلك أمر سيء ؟

الأم

: لا .

الخطيب

: اذن ؟

الأم

: أنا نفسى لا أعرف . هكذا ، بهذه السرعة ؟

يبدو لى الأمر وكأنه مفاجأة . اننى أعرف أن

الفتاة طيبة ، أليس كذلك ؟ مؤدبة ، شغالة ،

تعجن خبزها وتحوك ثيابها ، ولكننى رغم ذلك

أحس كلما ذكرت اسمها وكأن أحدا قد ضرب

جبهتى بحجر .

الخطيب

: هراء ..

الأم

: وأكثر من هراء .. الحق أننى سأبقى وحيدة .

الآن ولم يبق لى غيرك ، أكره أن تذهب عنى .

الخطيب

: ولكنك ستأتين معنا .

الأم

: لا .. لا أستطيع أن أترك أباك وأخاك هنا

وحيدين . لا بد أن أذهب لزيارتهم كل يوم .

وإذا مضيت من هنا فمن الممكن أن يموت

واحد من عائلة فيليكس — واحد من أسرة القتلة — يدفنوه قريبا . وذلك ما لا أسمح به . ولو حدث لنبشت القبر بأظفري وضربت بجثة من يدفنونه جدران المدفن .

الخطيب : (في ضجر) عدت الى نفس الكلام ..
الأم : معذرة يا بنى (لحظة صمت) كم عمر علاقتك بهذه الفتاة ؟

الخطيب : ثلاث سنوات . استطعت خلالها أن أشتري الكرم .

الأم : ثلاث سنوات . كان لها خطيب آخر .. أليس كذلك ؟

الخطيب : لا أدري ، لا أظن . وعلى الفتيات أن ينظرن ويقررن ممن يردن الزواج .

الأم : نعم . أما أنا فلم أنظر الى أحد . نظرت الى أميك ، وعندما قتلوه لم أنظر الا الى الجدار المقابل . لكل امرأة رجل واحد ، ولا شيء بعد ذلك .

الخطيب : أنت تعرفين أن خطيبتى صالحة .

الام : لا أشك في ذلك ، ومع ذلك فأنا آسفة اذ لا أعلم كيف كانت أمها .

الخطيب : وماذا يهم ذلك ؟

الام : (تنظر اليه) يا بنى ..

الخطيب : ماذا تريدن ؟

الام : هذا صحيح . عندك حق . متى تريد أن أطلب يدها ؟

الخطيب : (في سرور) يناسبك يوم الأحد ؟

الام : (جادة) سأخذ لها القرط النحاسى . انه قديم . وأنت تشتري لها ..

الخطيب : أنت تفهمين ذلك أكثر منى .

الام : تشتري لها جوارب أنيقة مشغولة .. وتشتري لك بذلتين .. ثلاثا .. ليس لى الا أنت ..

الخطيب : أنا ذاهب الآن . غدا أمضى لأراها .

الام : طبعاً ، طبعاً . وانظر فى أن تسعدنى بسة من الأحفاد أو أى عدد منهم تريد .. ما دام أبوك لم يعش ليهنى هذا القدر ..

الخطيب : المولود الأول سيكون لك ..

الام : نعم ، ولكن لا بد أن تنجب بعض البنات . اتنى

أريد أن أسلى نفسي بالتطريز وشغل الابرّة
وأسعد بالهدوء .

الخطيب : أنا واثق من أنك ستجيبين خطيبتى .

الام : نعم سأحبها (تشرع فى تقيله ثم تتوقف كأنها

غيرت رأيها) اذهب الآن . لقد كبرت على
القبيل . أعطها لزوجتك (تصمت لحظة ، ثم
تقول لنفسها) عندما تصبح زوجتك ..

الخطيب : أنا ذاهب .

الام : قلبّ جيدا جانب الأرض عند الطاحون فانك

تهمله .

الخطيب : سأفعل ذلك .

الام : اذهب فى سلامة الله (يخرج الخطيب . تظل الأم

جالسة وظهرها الى الباب . تظهر عند الباب جارة
فى ثياب سوداء تعصب رأسها بمنديل) ادخلى .

الجارّة : كيف حالك ؟

الام : كما ترين .

الجارّة : نزلت الى الدكان فأثيت لأراك . اتنا نسكن

بعيدا جدا .

الام : منذ عشرين سنة لم أصعد الى أعلى الطريق .

- الجارة : تبدين في حال طيبة .
- الأم : تظنين ذلك ؟
- الجارة : أشياء تحدث ! قبل يومين أتوا بابن جارتى
محمولا وقد قطعت الآلة كلتا يديه (تجلس) .
- الأم : رافائيل ؟
- الجارة : نعم . وها هو الآن طريح هناك . في أحيان
كثيرة أرى أن ابنك وابنى أحسن حالا حيث
هما : ينامان ويستريحان ولا يتعرضان للاصابة
بما يقعهما .
- الأم : اسكتى ، هذا كله مجرد كلام ولكنه لا يعزى .
- الجارة : آه ..
- الأم : (متنهدة) آه ..
- الجارة : (في حزن) وابنك ؟
- الأم : خرج .
- الجارة : أخيرا اشترى الكرم .
- الأم : كان سعيد الحظ .
- الجارة : الآن سيتزوج .
- الأم : (كأنها اتبعت وتذكرت شيئا . تقترب بكرسيها
من كرسى جارتها) اسمعى ..

- الجارة : (في صوت من يستمع سرا) قولى ..
- الام : أتعرفين خطيبة ابني ؟
- الجارة : فتاة طيبة ..
- الام : بلى ، ولكن ..
- الجارة : ولكن أحدا لا يعرفها معرفة كاملة . انها تعيش وحدها مع أبيها هناك ، بعيدا جدا على عشرة فراسخ من أقرب منزل . ولكنها فتاة سالحة ، متعودة على الوحدة .
- الام : وأمها ؟
- الجارة : أما أمها فكننت أعرفها . امرأة جميلة . كان وجهها يتألق كوجه قديس ، ولكنى لم أحبها أبدا . كانت لا تحب زوجها .
- الام : (في حدة) ما أكثر ما تعرفون أيها الناس ..
- الجارة : معذرة ، لم أقصد جرح شعورك ، ولكن ما أقوله صحيح . أما فيما يتصل بسيرها فلم يقل أحد شيئا فيما اذا كانت مستقيمة أم لم تكن . هذا لم يجر فيه حديث . كانت شديدة الاعتداد بنفسها .
- الام : نفس الكلام ..

- الجارة : أنت سألتني ..
- الأم : كنت أتمنى لو لم يعرف أحد عنهما شيئا ،
لا عن التي على قيد الحياة ولا عن التي ماتت .
كنت أتمنى لو كاتتا كأنهما شجرتا شوك
لا يذكرهما أحد ولكنهما تخزان من يقترب
منهما .
- الجارة : عندك حق . ان ابنك يستحق كل خير .
- الأم : نعم يستحق ، ولهذا فأنا شديدة الاهتمام
بأمره . قالوا لي ان البنت كان لها خطيب من
زمان .
- الجارة : كانت سنها اذ ذاك حوالي الخامسة عشرة . وقد
تزوج هو فعلا ابنة عم لها منذ عامين . ولكن
أحدا لا يذكر شيئا عن خطبتهما .
- الأم : وكيف تتذكرين أنت ؟
- الجارة : تسألينني أسئلة غريبة ..
- الأم : كل انسان يجب أن يستعلم عما يشجيه . من
كان هذا الخطيب ؟
- الجارة : ليوناردو .
- الأم : أي ليوناردو ؟

- الجارة : ليوناردو ابن آل فيليكس .
- الام : (تقف) من آل فيليكس ؟
- الجارة : ماذا بك يا امرأة ؟ ما ذنب ليوناردو في هذا ؟
- كانت سنه ثمانى سنوات عندما وقع ما وقع .
- الام : هذا صحيح ، ولكن يكفي أن أسمع اسم فيليكس .. (متحدثه من بين أسنانها) يكفي ذكر هذا الاسم ليمتلىء فمى مرارة (تبصق) ولا بد أن أبصق .. لا بد أن أبصق لكيلا أرتكب جريمة قتل .
- الجارة : اضبطى نفسك . ماذا يجيئك من هذا ؟
- الام : لا شىء . لكنك تفهمين .
- الجارة : لا تقفى فى طريق سعادة ابنك . لا تقولى له شيئا . انك امرأة عجوز ، وأنا أيضا ، وعلينا أن نطبق فميئا .
- الام : لن أقول له شيئا .
- الجارة : (تقبلها) لا شىء ..
- الام : (فى هدوء) ما أعرب هذه الأشياء !
- الجارة : أنا ذاهبة ، فان أهلى سيعودون من الحقل حالا .

المنظر الثاني

(غرفة مطيبة الجدران باللون الوردى ، مزينة بأشياء من النحاس وزهور مألوفة في الوسط الأندلسي ، مثل الجراتيسا والقرنفل . في وسط الغرفة منضدة مغطاة بمفرش من القماش . الوقت صباحا .

حماة ليوناردو جالسة في ركن من أركان الحجرة وبين يديها طفل تهدده . زوجته جالسة في ركن آخر ترفو جوربا) .

الحماة : نم يا حبيبي ، نا .. م

على حديث الحصان الكبير

عافت نفسه شرب الماء

لأن الماء كان أسود اللون .

تحت غصون الشجر

وعندما يصل الى القنطرة

يقف ويعنى .

من يقول ، يا وليدي

ماذا يحوى الماء

بمجراه الطويل

ومرجه الأخضر ؟

الزوجة : (تغنى بصوت خفيض) :

نم يا زهر القرنفل الجميل
فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : نامى يا شجرة الورد

فالحصان يأخذ فى البكاء
وقد دميت قوائمه

وتلججت معرفته

وفى عينيه العميقتين

انتشب خنجر فضى .

وهبطوا الى النهر

آه .. كيف هبطوا ؟

كان الدم يجرى دافقا

أقوى فى جريه من الماء

الزوجة : نامى يا زهرة القرنفل

فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : نامى يا شجرة الورد

فالحصان يأخذ فى البكاء

الزوجة : لم يشأ أن تطأ قوائمه

شاطيء النهر غشاه البلى ،

وساخنة كانت خياشيمه

يحوّم عليها ذباب فضي

وفي الجبال القاسية

كان يتردد الصهيل

والماء قد مات

جامدا دون حلقه

أى ! ذلك الحصان الكبير

الذي لم يرغب في الشراب

أى ! أسفا على حصان العجز

المكبل بالثلج الأبيض

الحماة : لا تات ، وتريث !

وسدّ النافذة

بغصون الأعلام

وأحلام الغصون

الزوجة : وليدى ينام

الحماة : وليدى يصمت

الزوجة : الحصان يا حبيبي

نائم على وساد

الحماة : ومهدته من حديد

وفرشته من نسيج رفيع

الزوجة : تم يا حبيبي ، نا .. م

يا للحصان الكبير

الذي لم يترد الشراب

الحماة : لا تأت ، لا تدخل !

اذهب الى الجبال

وامض الى الوديان السمراء

حيث ترعى قراسك

الزوجة : (تنظر الى الطفل) :

وليدي ينام

الحماة : وليدي يستريح

الزوجة : (بصوت خفيض) :

نامي يا زهرة القرنفل

فالحصان لا يريد الشراب

الحماة : (تنهض واقفة وتغني همسا) :

نم يا غصن الورود

فالحصان يشرع في البكاء

(تمضي بالطفل خارجا . يدخل ليوناردو)

ليوناردو : أين الطفل ؟

- الزوجة : نام .
- ليوناردو : لم يكن في حالة طيبة أمس . بكى في الليل .
- الزوجة : (في سرور) تعافى وأصبح اليوم كزهرة دالية .
وأنت ؟ هل ذهبت الى الحداد ؟
- ليوناردو : من عنده أتيت الساعة . هل تصدقين هذا ؟
لى شهران لا أضع للحصان حدوة جديدة
الا وقعت ، يبدو أنه ينتزعها على الأحجار .
- الزوجة : ألا يكون السبب أنك تكثر من ركوبه ؟
- ليوناردو : أبدا ، انى لا أكاد أركبه .
- الزوجة : أمس قالت لى جاراتى انهن رأينك فى آخر
السهول .
- ليوناردو : من قال ذلك ؟
- الزوجة : النساء اللائى يجمعن التين البرى . وقد
أدهشنى ذلك حقا . أكنت أنت ؟
- ليوناردو : لا . وما عسائى أن أصنع هناك فى تلك الأرض
المقفرة ؟
- الزوجة : هذا ما قلت ، ولكن الحصان كان يتصبب
عرقا .
- ليوناردو : هل رأيته أنت هكذا ؟

- الزوجة : لا ، ولكن أمك .
- ليوناردو : هل هي مع الطفل ؟
- الزوجة : نعم . هل تريد شيئاً من شراب الليمون ؟
- ليوناردو : بالماء البارد جداً .
- الزوجة : كيف لم تأت للغداء ؟
- ليوناردو : كنت مع كيتالى القمح . ان صحبتهم مسلية .
- الزوجة : (تصنع شراب الليمون وتقول فى صوت بالغ الرقة) هل دفعوا لك ثمننا طينياً ؟
- ليوناردو : الثمن العادل .
- الزوجة : يلزمنى ثوب وللطفل غطاء رأس بشرائط .
- ليوناردو : (يقف) سأذهب لأراه .
- الزوجة : كن رفيقاً ، فهو نائم .
- الحماة : (داخلة) من الذى كان يركض بالحصان على هذا النحو ؟ انه واقف منهوك القوى أسفل الدار وقد جحظت عيناه كأنه أقبل يعدو من آخر الدنيا .
- ليوناردو : (فى حدة) أنا .
- الحماة : معذرة . هو حصانك .
- الزوجة : (فى حياء) كان مع كيتالى القمح .

الحماة : من جانبي أنا .. فلينفق الحصان ! (تجلس .
لحظة صمت) .

الزوجة : مشروبك .. هل هو بارد ؟

ليوناردو : نعم .

الزوجة : هل علمت أن ابنة عمي ستخطب ؟

ليوناردو : متى ؟

الزوجة : غدا . سيكون الزفاف في خلال شهر . أرجو أن

يأتوا لدعوتنا .

ليوناردو : (في جد) لا أدري .

الحماة : أظن أن أمه لم تكن راضية عن ذلك الزواج .

ليوناردو : ربما كانت على حق . انها فتاة ينبغي الحذر

منها .

الزوجة : لا يعجبني أن تظن سوءا بفتاة طيبة .

الحماة : (في لهجة من يعنى ما يقول) اذا كان يظن

سوءا فلأنه يعرفها . ألا ترين أنها كانت

خطيبته ثلاث سنوات ؟

ليوناردو : ولكنني تركتها (لزوجته) هل ستبدئين في البكاء

الآن ؟ دعى ذلك (يبعد يدها عن وجهها في

عنف) لنذهب لنرى الولد .

(يخرجان ويد كل منهما تحيط بالآخر .
تظهر فتاة على باب الحجره والسورور باد
على وجهها . تدخل جريا) .

الفتاة : سيدتى ..

الحماة : ماذا جرى ؟

الفتاة : أتى الخطيب الى الدكان واشترى أحسن

ما هناك .

الحماة : أتى وحده ؟

الفتاة : لا . أتى مع أمه . امرأة عابسة طويلة (تقلدها)

ولكن .. أى فخامة !

الحماة : هؤلاء عندهم مال .

الفتاة : اشتريا عددا من الجوارب المشغولة . أى

جوارب ! جوارب هى حلم كل امرأة ! انظرى :

مزينة برسم عصفور هنا (تشير الى عقبها)

ورسم قارب هنا (تشير الى ساقها) ، ووردة

هنا (تشير الى فخذاها) .

الحماة : يا بنت !

الفتاة : وردة كاملة بورقها وغصنها .. آه .. كلها من

الحرير ..

الحماة : ثروة طائلة ستتزوج ثروة طائلة ..

(يظهر ليوناردو وزوجته)

- الفتاة : أتيت أخبركم ماذا اشتريا ..
ليوناردو : (في عنف) هذا لا يعنينا .
الزوجة : دعها تقول .
الحماة : ليوناردو . المسألة لا تستحق هذا كله .
الفتاة : (تذهب باكية) سامحوني ..
الحماة : ما يَحْتُوجُك الى اغضاب الناس ؟
ليوناردو : لم أسألك رأيك (يجلس) .
الحماة : طيب .. (صمت) .
الزوجة : (لليوناردو) ماذا بك ؟ ماذا يختمر في رأسك ؟
لا تدعني هكذا جاهلة بكل شيء .
ليوناردو : اسكتي !
الزوجة : لن أسكت . أريد أن تنظر اليّ وتتكلم .
ليوناردو : دعيني (ينهض واقفا) .
الزوجة : الى أين ؟
ليوناردو : (في حدة) ألا تستطيعين الصمت ؟
الحماة : (موجهة الحديث الى الزوجة في عنف)
اسكتي .. (يخرج ليوناردو) . الولد !

(تدخل ثم تخرج بالطفل بين ذراعيها .
أثناء ذلك تظل الزوجة واقفة مكانها
جامدة . الحمأة تغنى للطفل)

لقد جرحت قوائمه

وتلجت معرفته

ونفذ في عينيه

خنجر فضى .

ونزلوا الى النهر

آى .. كيف نزلوا ؟

كان الدم يجرى

دافقا أشد من الماء

الزوجة : (تتلفت حولها في ببطء كأنها تحلم ، ثم تغنى) :

نامى يا زهرة القرنفل

فالحصان يشرب الماء

الحمأة : نم يا غصن الورود

فالحصان يشرع فى البكاء

الزوجة : نم يا حبيبي ، نام ..

الحمأة : آه ! يا للحصان الكبير

الذى لم يترد الشراب

الزوجة : (تغنى فى نغم حزين) :

لا تقبل ، ولا تدخل

اذهب الى الجبال

آه .. يا لألم الثلوج

يا حصان الفجر الكبير !

: (باكية) : الحماة

وليدى ينام .

: (تبكى وهى تقرب فى بظء وتغنى) : الزوجة

وليدى يستريح .

: نامى يا زهرة القرنفل : الحماة

فالحصان لا يريد شرب الماء

: (باكية وهى تستند بذراعيها الى المنضدة) : الزوجة

نم يا غصن الورد الجميل

فالحصان يشرع فى البكاء

سستار

النظر الثالث

(داخل المغارة التي تعيش فيها العروس . في صدر المنظر صليب من زهور وردية اللون كبيرة . الأبواب مقوسة من اعلى تغطيها ستر من الدنتلا وأشرطة وردية اللون . الجدران جامدة جاقية مطلية بالجير الأبيض ، عليها مراوح يدوية إسبانية مفتوحة ومعلقة للزينة . على الجدران أيضا أباريق ماء صغيرة زخرفية ملونة باللون الأزرق ، ومرايا صغيرة)

الخادمة : تفضلوا (تتحدث في نظرف بالغ يبدو فيه النفاق الرخيص . يدخل الخطيب وأمه . الأم تلبس ثوبا من الساتان الأسود وتضع على رأسها طرحة سوداء مطرزة . الخطيب يلبس بذلة سوداء من الطراز الذي يلبسونه في جنوب اسبانيا (الأندلس) ، تزين بذلته سلسلة ذهبية كبيرة) هل تتفضلان بالجلوس ؟ سيأتيان حالا (تخرج)

(تجلس الأم والخطيب ويظلان فترة طويلة ساكنين كأنهما تمثالان)

الأم : هل معك ساعتك ؟

- الخطيب** : نعم (يخرجها وينظر فيها) .
- الأم** : علينا أن نعود في وقت مناسب . هؤلاء الناس
يسكنون بعيدا جدا .
- الخطيب** : ولكن هذه الأرض جيدة .
- الأم** : نعم جيدة ، ولكنها منعزلة جدا . أربع ساعات
في الطريق دون أن نرى دارا أو شجرة .
- الخطيب** : هذه هي أراضي الجفاف .
- الأم** : لو كانت لأبيك لغطاها بالأشجار .
- الخطيب** : من غير ماء ؟
- الأم** : كان بحث عنه ووجده . خلال السنوات الثلاث
التي دامها زواجنا زرع عشر شجرات كرز
(تجتهد في التذكر) وشجرات البندق الثلاث
التي عند الطاحونة ، وكرما كاملا وشجرة تسمى
الخنوبتكر تعطي زهورا حمراء ، ولكن هذه
جفت وماتت (لحظة صمت) .
- الخطيب** : (مشيرا الى الباب الذي ستدخل منه العروس) :
لا بد أنها تلبس .

(يدخل والد العروس . انه رجل عجوز
شعر رأسه أبيض ناصع . رأسه منحني
بعض الشيء . الأم والخطيب ينهضان
ويصافحانه في صمت)

- الاب : كانت رحلتكما طويلة ؟
- الام : أربع ساعات (تجلسن هي وابنها) .
- الاب : أتيتما بالطريق الأطول .
- الام : لقد كبرت سنى ولم أعد أستطيع السير فى
الأراضى الصخرية ناحية النهر .
- الخطيب : يأتيها دوار .
- الاب : محصول جيد من الحنفاء .
- الام : محصول طيب فعلا .
- الاب : فى أيام شبابى لم تكن هذه الأرض تنبت حتى
الحنفاء ، كان لابد من العمل الشاق فيها ،
بل عصرها عصرا ، حتى تخرج لنا شيئا له بعض
الفائدة .
- الام : ولكنها تنبت الآن . لا داعى للشكوى . لم آت
لأطلب منك شيئا .
- الاب : (باسم) أنتِ أغنى منى ، فالكروم تساوى
شيئا كثيرا ، كل شجيرة عنب صغيرة تساوى
قطعة من الفضة . ان ما آسف له هو أن
أراضينا — وأنتِ تفهمين ما أعنى — بعيدة
بعضها عن بعض ، وأنا أحب أن يكون كل

شيء مُجَمَّعاً . كأنما في صدري شوكة
لا أستطيع نزعها ، هي تلك الحديقة الصغيرة
القائمة وسط أرضي ولا يريدون أن يبيعوني
إياها بذهب الدنيا كله .

الخطيب : هكذا يحدث دائما .

الأب : لو استطعنا أن نشد كرومك الى عشرين زوجا
من الثيران ليجروها الى هنا ويضعوها عند هذا
السفح ! .. كم كان ذلك يسعدني ..

الأم : ولماذا ؟

الأب : لأن أرضي ملك ابنتي ، وأرضك ملك ابنك ..
بهذا يجتمع كل شيء في مكان واحد .. ما أجل
جمع الأشياء بعضها الى بعض ..

الخطيب : ثم ان ذلك يسهل العمل .

الأم : بعد أن أموت ، يبعوا أرضي واشتروا أخرى
الى جوار هذه .

الأب : (ييدي إشارة امتعاض) يبعوا .. يبعوا ..
بل نشترى يا صاحبتى ، نشترى كل شيء .
لو كان لى أولاد لكنت اشتريت هذا الجبل
كله حتى شط النهر . انها أرض ليست طيبة ،

ولكن السواعد القوية تخلق منها أرضا جيدة ،
ثم ان أحدا لا يمر من هنا فلا يسرق المحصول
ويستطيع الانسان أن ينام آمنا (لحظة صمت) .

الام : أنت تعرف لماذا أتيت ..

الاب : نعم .

الام : واذن ؟

الاب : أنا موافق ، وقد تكلمنا في الأمر .

الام : ان ابني ذو مال ، وهو يستطيع كثيرا .

الاب : كذلك ابنتي .

الام : وابني وسيم طيب ، لم يعرف امرأة في حياته ،

واسمه أنظف من ملاءة بيضاء منشورة في

الشمس .

الاب : لست في حاجة لأن أحدثك عن ابنتي . انها

تعجن الخبز في الثالثة قبل أن يطلع الفجر . انها

لا تتكلم أبدا ، وهي رقيقة كالصوف وتعمل

بيدها كل صنوف التطريز ، وهي قوية تستطيع

قطع الجبل الغليظ بأسنانها .

الام : ليبارك الله دارها !

الاب : أجل ، ليباركها الله !

(تظهر الخادم حاملة صينيتين ، واحدة
عليها كؤوس مشروبات. والأخرى عليها
حلوى)

الام : (لابنها) متى تريد العرس ؟

الخطيب : الخميس القادم .

الاب : في هذا اليوم تتم ابنتي اثنين وعشرين عاما .

الام : اثنان وعشرون عاما . لو عاش ابني الكبير لكان

في هذه السن الآن وأصبح دافق الشباب وفحلا
كما كان .. لو أن الناس لم يخترعوا السكاكين..

الاب : لا ينبغي التفكير في هذا .

الام : اننى أفكر فيه كل دقيقة . ضع يدك على صدرك

لتحص بذلك .

الاب : يوم الخميس اذن ، أليس كذلك ؟

الخطيب : نعم .

الاب : سيذهب العروسان معنا في سيارة الزفاف حتى

الكنيسة لأنها بعيدة . أما المرافقون فسيذهبون
بالعربات أو على الخيل .

الام : موافقة .

(تمر الخادمة بالمشروبات والحلوى)

الاب

: (للخادمة) قولى لها انها تستطيع الدخول

(للام) يسرنى جدا لو أعجبتك .

(تظهر العروس . يداها مرسلتان على
جنبها فى هيئة تواضع ، وهى منخفضة
راسها)

الام

: اقتربى .. سعيدة أنت ؟

العروس

: نعم يا سيدتى .

الاب

: خففى عن نفسك هذا الحياء .. انها ستكون

أملك آخر الأمر .

العروس

: اتى سعيدة . لقد قلت نعم لأنتى أريد ذلك .

الام

: طبعا (تمسك ذقن العروس) انظرى الى ..

الاب

: انها تشبه امرأتى فى كل شىء .

الام

: ما أجمل منظرها .. أتعرفين ما معنى الزواج

يا بنية ؟

العروس

: نعم ، أعرف ..

الام

: رجل وبعض الأولاد وغرفة عرضها ذراعان لكل

ما عدا ذلك .

الخطيب

: هل بقى شىء نقوله ؟

الام

: لا . كل ما أرجوه أن تعيشوا كلكم .. هذا

هو المهم .. أن تعيشوا ..

- العروس : اننى أعرف كيف أقوم بواجبى .
- الأم : اليك بعض الهدايا لك .
- العروس : شكرا .
- الأب : ألا نشرب شيئا ؟
- الأم : أنا لا أريد شيئا (لابنها) وأنت ؟
- الخطيب : سأتناول شيئا (يأخذ قطعة حلوى وتأخذ العروس أخرى) .
- الأب : (للخطيب) شيئا من النبيذ ؟
- الأم : انه لا يذوقه .
- الأب : أحسن (يقفون جميعا) .
- الخطيب : (للعروس) سأتى غدا .
- العروس : فى أى ساعة ؟
- الخطيب : الخامسة .
- العروس : سأنتظرك .
- الخطيب : عندما أبتعد عنك أشعر بفراغ كبير وكان غصة فى حلقى .
- العروس : عندما تصبح زوجى لن تحصن بذلك .
- الخطيب : هكذا أقول لنفسى .

- الأم : هيا بنا ، ان الشمس لا تنتظر (للأب) موافقون
على كل شيء ؟
- الأب : موافقون .
- الأم : (للخادمة) أستودعك الله .
- الخادمة : مع سلامة الله .
- (الأم تقبل العروس ويسرون نحو الباب
في صمت)
- الأم : (وهى على الباب) وداعا يا ابنتى .
(العروس تشير بيدها مودعة)
- الأب : سأخرج معكما (يخرجون) .
- الخادمة : رؤية هذه الهدايا تقتلنى ..
- العروس : (فى حدة) اسكتى .
- الخادمة : يا بنت .. أرينى اياها .
- العروس : لا أريد .
- الخادمة : الجوارب على الأقل .. يقولون انها كلها مشغولة
بالايرة .. أرجوك !
- العروس : قلت لا .
- الخادمة : يا حفيظ .. يبدو أنك لا ترغبين فى الزواج ..
- العروس : (تعض يدها فى غيظ) أى !

الخادمة : يا بنت .. يا بنت ! .. ماذا جرى لك ؟ هل أنت
أسفة على حياة الملكة التي تعيشينها هنا ؟
لا تفكرى فى أشياء مريرة .. هل لديك ما يدعو
الى ذلك ؟ لا شىء .. تعالى نرى الهدايا ..

(تناول الصندوق)

العروس : (تمسك معصمها فى عنف) دعى هذا ..

الخادمة : يالك من امرأة !

العروس : قلت دعيه ..

الخادمة : انك أقوى من رجل .

العروس : ألم أقم بعمل رجل ؟ ليتنى كنت رجلا ..

الخادمة : لا تتكلمى هكذا .

العروس : اسكتى ، قلت لك . لتتكلم فى موضوع آخر

(يبدأ الضوء فى الخفوت فى المسرح . لحظة

صمت طويلة) .

الخادمة : هل سمعت صوت حصان الليلة الماضية ؟

العروس : فى أى ساعة ؟

الخادمة : الثالثة .

العروس : قد يكون حصانا شرد من القطيع .

الخادمة : لا .. كان عليه فارس .

العروس : كيف علمت ذلك ؟
الخادمة : رأيته . كان واقفا عند النافذة ، وقد أفرغني ذلك .

العروس : ربما كان خطيبي . يأتي أحيانا في ذلك الوقت .
الخادمة : لا ، لم يكن هو .

العروس : رأيته ؟

الخادمة : نعم .

العروس : ومن كان ؟

الخادمة : كان ليوناردو .

العروس : (في عنف) كاذبة .. أنتِ كاذبة .. لماذا يأتي الى هنا ؟

الخادمة : لقد أتى .

العروس : اسكتي .. ملعون لسائك .

(تسمع ضوضاء حصان يركض)

الخادمة : (تنظر من النافذة) انظري .. تعالي وانظري ..

ألم يكن هو ؟

العروس : نعم هو .

(ينزل الستار سريعا)

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

المنظر الأول

(ردهة دار العروس ، أى القاعة التى تتوسط الغرف . باب كبير فى صدر المنظر . الوقت ليل . تدخل العروس فى قميص أبيض أسفله مزين بالشرائط والدنتلا وأعلاه صدار أبيض محكم على الجسد وذراعاها عازيتان . تدخل الخادمة فى ثوب مماثل) .

الخادمة : هنا سأكمل تسريح شعرك .

العروس : لا يمكن البقاء فى الداخل ، فالحر شديد .

الخادمة : فى هذه النواحي لا يلطف الجو حتى فى الفجر .

(تجلس العروس على كرسى منخفض ويدها مرآة تنظر فيها ، وتقوم الخادمة بتصفيف شعرها)

العروس : أمى أصلها من ناحية كثيرة الأشجار .. من أرض غنية .

الخادمة : ولهذا كانت مرحة .

العروس : ولكن هذه الأرض أهلكتها .

الخادمة : هكذا أراد القدر .

العروس : كما نهلك كلنا هنا .. الجدران تنفث نارا ..

أى .. لا تشدى هكذا .. !

الخادمة : لا بد من ذلك لتكون هذه الموجة من الشعر على

أحسن صورة . أريد أن تنزل على جبهتك

(تنظر العروس الى نفسها فى المرآة) ما أجملك !

أى ! (تقبلها بحرارة) .

العروس : (فى صوت جاد) استمرى فى التصفيف .

الخادمة : ما أسعدك ! ستطوقين رجلا بذراعيك وتقبلينه

وتحسين به ..

العروس : اسكتى .

الخادمة : وأجمل ما هناك عندما تستيقظين وتحسين به الى

جوارك ، ونفسه يداعب كتفيك كأنه ريشة

بلبل ..

العروس : (فى عنف) ألا تريدن أن تسكتى ؟

الخادمة : ولكن يا بنيتى .. هذا زواج .. أليس كذلك ؟ ..

الزواج هو ما قلتُ وزيادة .. أم الزواج هو

الحلوى ، وباقات الزهور ؟ لا .. انه فراش

يتألق ، ورجل وامرأة ..

العروس : هذا شيء لا يقال .

الخادمة : ذلك موضوع آخر .. ولكنه شيء جميل .

العروس : أو ميرر .

الخادمة : سأضع لك شريط الزهور من هنا الى هنا حتى

يتألق الاكليل فوق الشعر .

العروس : (تنظر الى نفسها في المرآة) هاتى .

(تأخذ شريط الزهور وتنظر اليه ، ثم

تحنى رأسها وقد بدأ عليها الارهاق)

الخادمة : ما هذا ؟

العروس : دعيني .

الخادمة : ليس هذا وقت الحزن (محاولة ادخال السرور

على نفسها) هاتى الزهور (العروس ترمى بها)

يا بنتى .. انك تستنزلين غضب الله اذ تلقين

بالاكليل على الأرض .. ارفعى وجهك

هذا ! ألا تريدان الزواج ؟ قولى ذلك الآن ..

لا زلت تستطيعين العدول عنه الآن ..

العروس : (تنهض) : اننى أشعر بسحب عاصفة .. أحس

كأن ريحا شديدة تعصف فى صدرى .. من منا

لم يشعر بذلك وقتا ما ؟

الخادمة : هل تحبين خطيبك ؟

- العروس : نعم أحبه .
 الخادمة : طبعاً .. طبعاً .. أنا واثقة من ذلك .
 العروس : ولكنى مقدمة على خطوة خطيرة ..
 الخادمة : لا بد أن تسير بها .
 العروس : لقد أعطيت كلمتى .
 الخادمة : سأضع لك الاكليل .
 العروس : (تجلس) أسرعى .. لا بد أن الناس على وشك الوصول .
 الخادمة : لهم ساعتان على الأقل فى الطريق .
 العروس : كم المسافة من هنا الى الكنيسة ؟
 الخادمة : خمسة فراسخ بطريق النهر .. أما بالطريق العادى فهى ضعف ذلك .

(تنهض العروس وتحمس الخادمة
 وتطرب لرؤيتها وتغنى)

استيقظى يا عروس وانهضى
 فقد أقبل يوم زفافك
 ولتقبل أنهار الدنيا كلها
 لتحمل اكليلك

العروس : (تبسم) هيا بنا ..

الخادمة : (تقبلها في حماس وترقص حولها) :

استيقظي يا عروس
يزينك الغصن الأخضر
يوشيه زهر الغار
استيقظي يا عروس
انهضى يا عروس بقوام كأنه غصن غار يانع
(يسمع دق على الباب)

العروس : افتحي .. لا بد أنهم أول الضيوف .

(تدخل العروس . الخادمة تفتح الباب
وتقف في دهشة) .

الخادمة : أنت ؟

ليوناردو : نعم أنا . صباح الخير .

الخادمة : أول الضيوف ؟

ليوناردو : ألم يدعوني ؟

الخادمة : نعم .

ليوناردو : فلهذا أتيت .

الخادمة : وزوجتك .. أين هي ؟

ليوناردو : أتيت على حصاني ، وهي قادمة على الطريق .

الخادمة : ألم يقابلك أحد ؟

ليوناردو : مررت بهم على حصاني .

- الخادمة : ستقتل الحيوان المسكين بهذا الجري الكثير .
- ليوناردو : اذا مات ، مات (لحظة صمت) .
- الخادمة : اجلس ، لم يستيقظ أحد بعد .
- ليوناردو : والعروس .. أين هي ؟
- الخادمة : سأقوم بالباسها الآن .
- ليوناردو : لا بد أنها سعيدة ..
- الخادمة : (محاولة تغيير موضوع الحديث) والطفل ؟
- ليوناردو : أى طفل ؟
- الخادمة : ابنك .
- ليوناردو : (يتذكر كما لو كان فى حلم) آه ..
- الخادمة : هل سيأتون به ؟
- ليوناردو : لا (تسمع أصوات ناس تغنى من بعيد) :
- استيقظى يا عروس
صباح يوم الزفاف
- ليوناردو : (مرددا) :
- استيقظى يا عروس
صباح يوم الزفاف
- الخادمة : ها هم الناس مقبلين من بعيد .
- ليوناردو : (وهو يقف) ستضع العروس على رأسها اكليلا

كبيرا ، أليس كذلك ؟ لا ينبغي أن يكون كبيرا
جدا ، يناسبها أكثر لو كان أصغر قليلا .. هل
أتى العريس بشريط الزهور الذى تضعه
العروس على صدرها ؟

العروس : (تظهر فى المدخل . لا زالت تلبس القميص .

أكليل الزهور على رأسها) نعم أتى به .

الخادمة : (محتدة) لا تظهرى هكذا .

العروس : وماذا يهم ذلك ؟ (لليوناردو فى صوت جاد)

لماذا تسأل عما إذا كانوا قد أتوا بشريط الزهر؟

هل تنوى شيئا ؟

ليوناردو : ماذا يمكن أن أنوى ؟ (يقترب منها) أنت

تعرفيننى ، وتعرفين أنى لا أضمر أى نية . قولى

لى : ماذا كنت بالنسبة لك ؟ اعصرى ذهنك

وتذكرى .. ولكنك فضلت زوجا من الثيران

وكوفا حقيرا .. ذلك هو المؤلم .

العروس : لماذا أتيت ؟

ليوناردو : لأشهد زفافك .

العروس : أنا أيضا حضرت زفافك .

ليوناردو : اننى مقيد اليك .. مقتول بيديك .. آه ، ان

قتلى هين ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يبصق
على .. المال ، ذلك الذى يبعث كل هذا
الوهج ، يبصق أحيانا .

العروس : كذب !

ليوناردو : لا أريد أن أتكلم لأنتى رجل حار الدماء ،
ولا أريد أن أصرخ فتسمع صوتى هذه التلال
كلها .

العروس : وصرخاتى أنا ستكون أعلى وأقوى .

الخادمة : هذا الكلام لا يمكن أن يستمر على هذه
الصورة . لا ينبغى أن تتكلمى فيما مضى وفات
(تنظر الى الأبواب فى خوف وقلق) .

العروس : عندها حق . لا ينبغى لى حتى أن أكلمك ، ولكن
نفسى ضاقت اذ أتيت لترانى ولتشعل زفافى
فارا ، ثم تسأل فى نية سيئة عن الزهور التى
سأضعها على صدرى .. اذهب وانتظر زوجتك
على الباب .

ليوناردو : ولكن ، ألا نستطيع أن نتكلم ، أنا وأنت ؟

الخادمة : (فى غضب) لا ، لا تستطيعان أن تتكلما .

ليوناردو : منذ أن تزوجت وأنا أسأل نفسى ليل نهار : من

كان المخطيء؟ وفي كل مرة أسأل نفسي يبدو لى
ذنب جديد يأكل الذنب الماضى ، ولكن هناك
ذنبا باقيا على أى حال .

العروس : ان رجلا على ظهر حصان يعرف أشياء كثيرة
ويستطيع أن يفعل كثيرا ليرهق فتاة تقيم فى
خلاء . ولكن لى كبريائى . لهذا سأتزوج ،
وسأغلق بيتى على نفسى وزوجى ، وعلى أن
أحبه فوق كل شىء .

ليوناردو : الكبرياء لن تغنى عنك شيئا (يقترب منها) .
العروس : لا تقترب .

ليوناردو : ان أشد عقاب نستطيع انزاله بأنفسنا هو الصمت
والنار تتلظى فى قلوبنا .. ماذا جنيت أنا من
كبريائى ومن حرمانى نفسى من النظر اليك
وتركى اياك ساهرة ليلة بعد ليلة؟ لم ينفعنى ذلك
بشىء! كل ما أتانى من ذلك مزيد من النار التى
أحترق فيها! أتظنين أن الزمن يداوى وأن
الجدران تدارى؟ ذلك غير صحيح .. غير
صحيح! عندما تبلغ الأشياء هذا العمق من
القلوب فليس هناك ما ينزعها ..

العروس : (وقد سرت في جسدها رعدة) لا أستطيع أن

أصغى إليك . لا أستطيع سماع صوتك .. انى
أشعر كما لو كنت قد شربت زجاجة من الخمر
التقوية ثم نمت على فراش من الزهور .. أشعر
كأن شيئاً يجذبني في عنف ، وأعرف أننى
سأغرق .. ولكنى أمضى وراء ذلك الصوت .

الخادمة : (تمسك بقلابتي سترة ليوناردو) لا بد أن
تذهب الآن ، حالا .

ليوناردو : هذه آخر مرة أكلمها .. لا تخافى شيئاً ..

العروس : اننى أعرف أنى مجنونة ، وأعرف أن قلبى
يتحطم بألم الصبر والاحتمال .. ولكن ها أنا
تهداً نفسى لسماعه ولمجرد رؤيته يحرك ذراعيه .

ليوناردو : ما كنت لأهدأ لو لم أقل لك ذلك .. لقد تزوجت
أنا ، فلتتزوجى أنت الآن .

الخادمة : (لليوناردو) نعم ، ستتزوج !

: (أصوات تبنى من مسافة أقرب) :

استيقظى يا عروس استيقظى

صباح يوم الزفاف

العروس : لتستيقظ العروس !

(تخرج مسرعة الى غرفتها)

الخادمة : لقد أتى الناس (لليوناردو) لا تقترب منها مرة

أخرى

ليوناردو : لا تخافى (يخرج من الباب الأيسر . يبدأ نور

النهار فى الانتشار) .

فتاة أولى : (وهى داخلة) :

لتنهض العروس

صباح يوم الزفاف

ولتمض فرقة العازفين والراقصين

وفى كل شرفة اكليل زهور

أصوات : لتنهض العروس .

الخادمة : (مشجعة للمغنين) :

فلتنهض العروس

مع الغصن الأخضر

غصن الحب الزاهر

فلتنهض العروس

على جذع وغصن

من شجر الغار

فتاة ثانية : (داخلة) :

لتنهض العروس

بشعرها الطويل

وقمصها الأبيض الزاهي

وحذائها اللامع المفضل

وجبينها يزينه الياسمين

أيتها الراعية : الخادمة

أهكّ ضياء القمر

أيتها الفارس الرشيق : الفتاة الأولى

دع قبعتك على شجرة الزيتون

فتى أول : (يدخل راقعا قبعتك الى أعلى) :

لتنهض العروس

فان موكب الزفاف

مقبل عبر الحقول

بأطباق الزهر الجميل

وفطائر يوم العيد

لتنهض العروس : أصوات

ها هي العروس : الفتاة الثانية

على رأسها تاج الزهر الأبيض

وها هو العريس

يثبته بشرائط من ذهب

الخدمة : وتحت شجرة البرتقال .

لا يزور النوم جفن العروس

فتاة نائمة : (داخلة) :

تحت شجرة البرتقال

يهدبها العريس ملعقة ومندبلا

(يدخل ثلاثة من الضيوف)

الفتى الاول : استيقظي يا يمامة

فعندما يطلع الفجر

تهتز أجراس لها ظلال

أحد الضيوف : العروس ، العروس البيضاء

انها اليوم عذراء

وغداً سيدة ذات جلال

الفتاة الاولى : انزلي يا سميراء

تجرين ذيل الحرير الطويل

أحد الضيوف : السميراء تنزل

ونسيم الصبح العليل يحمل تاج الندى

الفتى الاول : استيقظي أيتها الزوجة انهضي

فالنسيم يحيى نائرا الزهور

الخدمة : سأطرز لها ثوبا برسم شجرة

وأحيطها بشرائط حمراء داكنة
وعلى كل شريط أرسم قلبا
وأكتب حوله : لتحيى العروس

أصوات : لتنهض العروس

الفتى الأول : صباح يوم الزفاف

أحد الضيوف : صباح يوم الزفاف

أى رشاقة ستزينك

ستبدين زهرة من زهر الجبال

كأنك زوجة قائد كبير

الأب : (داخلا) :

زوجة قائد كبير

سيمضى بها العريس

ها هو قد أتى بشيرانه

حاملا كنزها الثمين

الفتاة الثالثة : والعريس كأنه

زهرة الذهب

وهو عندما يسير

تطلع عند مواطيء قدميه

زهرات قرنفل بديع

الخادمة : يا طفلتي ذات الحظ السعيد

الفتى الثاني : لتنهض العروس

الخادمة : يا بنيتي الرشيقة

الفتاة الأولى : ها هو الزفاف يدعو

من كل نافذة وطاق

الفتاة الثانية : لتخرج العروس

الفتاة الأولى : لتخرج الى الناس وتظهر

الخادمة : ولتدق الأجراس

برنين جميل

الفتى الأول : ها هي العروس مقبلة

ها هي قد خرجت

الخادمة : والزفاف قد قام على ساق

كأنه ثور عظيم

(تظهر العروس ترتدى ثوب زفاف أسود

من طراز سنة ١٩٠٠ ، وله كرايش وذييل

طويل كلها مزينة بالتل الرقيق وأشرطة

الحرير المنشأة . شعرها مصفف وتزين

رأسها بأكاليل من زهر البرتقال . تعزف

القيثارات . الفتيات يقبلن العروس)

الفتاة الثالثة : أي عطر تضعين في شعرك ؟

- العروس** : (ضاحكة) لا أضع عطرا .
- الفتاة الثانية : (ناظرة الى ثوب العروس) هذا النسيج نادر الوجود .
- الفتى الأول : ها هو العريس ..
- العريس** : أحبيكم ..
- الفتاة الأولى : (وهى تضع له زهرة خلف أذنه) :
يبدو العريس
وكأنه زهرة الذهب
- الفتاة الثانية : وفى عينيه تبدو
علائم الهناء
- (العريس يذهب الى العروس)
- العروس** : لماذا لبست هذا الحذاء ؟
- العريس** : لأن لونه أبهج من اللون الأسود .
- زوجة ليوناردو : (داخلة ، ثم ماضية لتقبيل العروس) تحياتى !
(يتحدثون جميعا فى مرح وانطلاق)
- ليوناردو** : (يدخل متكلفا كمن يؤدي واجبا) :
فى يوم زفافك
نضع على رأسك الاكليل
- زوجة ليوناردو : لكى تشمل السعادة الحقول

بالندى الذى يقطر من شعرك

- أم العريس : (لوالد العروس) هؤلاء أيضا هنا؟
والدالعروس : انهم من العائلة ، وهذا يوم غفران .
أم العريس : سأحتمل وجودهم ، ولكنى لن أغفر .
العريس : منظرک هكذا بالاكلیل یشرح الصدر .
العروس : لنمض الى الكنيسة مسرعين .
العريس : متعجلة ؟
العروس : نعم ، أريد أن يتم زواجنا ثم أبقى بعد ذلك
وحدى معك لا أسمع الا صوتك ..
العريس : وهذا ما أريد .
العروس : ولا أريد أن أرى الا عينيك ، وأريد أن تضمينى
الى صدرك فى قوة حتى لو أن المرحومة أمى
نادتنى لما استطعت التخلص من ذراعيك .
العريس : ان ذراعى قويتان ، وسأضمك بهما أربعين
سنة متوالية .
العروس : (فى صوت يادى التأثر وهى تأخذ بذراعيه)
الى الأبد ..
والدالعروس : لنمض مسرعين .. اركبوا خيلكم وعرباتكم فقد
طلعت الشمس .

أم العريس : امضوا في رفق حتى لا يحدث شيء .

(يفتح الباب الكبير في الصدر ويبدأ
الناس في الخروج)

الخادمة : (وهي تبكي) :

عندما تغادرين دارك

أيتها العذراء البيضاء

اذكري أنك تمضين

مع نجم من نجوم السماء

الفتاة الأولى : طاهرة الجسد والثياب

تمضين من دارك الى زفافك

(يأخذون في الخروج)

الفتاة الثانية : الآن تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

الخادمة : والنسيم يثر الزهور

على رمال الطريق

الفتاة الثالثة : يا للعروس البيضاء

الخادمة : كأن زينة طرحة رأسها

نسائم جميلة سمراء

(يخرجون . تسمع أصوات قيثارات

وكاستانيتات وطبول ، ولا يبقى الا

ليوناردو وزوجته)

- الزوجة : هيا بنا :
- ليوناردو : الى أين ؟
- الزوجة : الى الكنيسة ، ولكنك لن تذهب على حصانك ، ستأتى معى .
- ليوناردو : فى العربية ؟
- الزوجة : وهل هناك غيرها ؟
- ليوناردو : لست ممن يذهبون فى العربات .
- الزوجة : وأنا لست ممن يذهبن الى زفاف دون أزواجهن .
- لم أعد أستطيع احتمال هذه الحال أكثر من ذلك .
- ليوناردو : ولا أنا .
- الزوجة : ولماذا تنظر الى هكذا ، وكأن شوكة فى كل عين من عينيك ؟
- ليوناردو : هيا بنا ..
- الزوجة : لا أدرى ماذا يدور من حولي ، ولكن شيئاً يدور فى خاطرى .. لا أريد أن أفكر .. ان شيئاً واحدا يبدو لى فى وضوح : أنك تخليت عنى .. ولكن لى منك طفلاً ، وفى الطريق طفل آخر .. هكذا تمضى الأمور بنا . نفس الحظ التعس

حاق بأمي .. ولكنني لن أتقل من هنا ..

أصوات : (تغنى من الخارج) :

عندما تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

الزوجة : (باكية وهى تردد) :

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

هكذا خرجت أنا أيضا .. كان الأمان يملأ قلبى

حتى خلت أن صدرى يتسع للحقول كلها ..

ليوناردو : (ناهضا) هيا بنا .

الزوجة : ولكن ، سندهب معا .

ليوناردو : نعم .. هيا ، سيرى (يخرجان) .

أصوات : (تغنى خارجا) :

عندما تغادرين دارك

والى الكنيسة تمضين

اذكرى أنك تخرجين

كأنك نجم يضىء

(يهبط الستار فى بطء)

المنظر الثانى

(خارج المغارة التى تعيش فيها العروس . لون الجدران
أبيض مغبر بعض الشيء وأزرق حائل (باهت) . تبدو شجرات
تين شوكى كثيرة كابية ضاربة الى اللون الفضى . تبدو حول
المغارة طبيعة الهضبة الجافية . كل شىء فى المنظر يبدو جامداً
مثل التصاوير المعروفة على قطع القاشانى لمناظر الجبال التى
يقيم فيها الفجر) .

الخادمة : (وهى تعد مائدة عليها كؤوس وأطباق) :

كانت تدور

وتدور الساقية

وكان الماء منها يفيض .

إذا أقبلت ليلة الزفاف

فلتفترق العصون

وليهبط ضوء القمر

على سياج شرقتها البيضاء ..

(ثم تقول فى صوت عال) :

ضعى المفارش

(ثم فى صوت حزين) :

كانوا يغنون

كان الأزواج يغنون
وكان الماء يجري ويفيض
فقد أقبلت ليلة الزفاف .
فلتترد دم الفاكهة الجافة بالحلاوة
ولتمتلىء بالعسل
لوزات " طعمها مرير
(ثم تقول في صوت عال)

أعدوا النيذ !

(ثم في صوت حزين) :

أيتها الغادة الرشيقة
يا أرشق من في الوجود
انظري كيف يتدفق الماء
فقد أقبل يوم زفافك .
ضمي اليك ثيابك
وتحت جناح زوجك
لا تغادري دارك
لأن الزوج فرخ يمام
في صدره شعلة من نار
والحقول تترقب الشائعات

عن الدم المراق .

كانت تدور ..

كانت الساقية تدور

وكان الماء يجرى ويفيض

فقد أهلّ عيد زفافك

فاتركى الماء يبعث بالبريق

أم العريس : (وهى داخلّة) أخيرا آن الأوان !

والدالعروس : هل نحن أول من وصل ؟

الخادمة : لا . منذ قليل وصل ليوناردو مع زوجته ، قطعا

الطريق فى سرعة الشياطين ، ووصلت الزوجة

ميتة من الخوف ، طارا الى هنا كأنما أتيا على

ظهر حصان .

والدالعروس : هذا الرجل يبعث عن الشر . ان دمه دم سوء .

أم العريس : أى دم ذلك الذى يجرى فى بدنه ! انه دم

أسرته كلها . ورثوه عن جد جدهم ، ذلك الملعون

الذى بدأ حياته قاتلا ، وجرى ذلك الدم فى

كل هذا الجنس الشرير ، جنس ماهر فى

استخدام السكاكين ، وناس ذوو ابتسامات

صفراء كاذبة .

الوالد : لنصرف النظر عن هذا الموضوع .
الخدمة : كيف تصرف النظر عنه ؟
الأم : انه ليؤلمنى حتى ليصل الألم الى أطراف عروقى . فى وجوه أولئك الناس جميعا لا أرى الا اليد التى غالت عزيزا كان لى . هل ترانى بعينيك ؟ ألسنت أبدو لك مجنونة ذاهبة العقل ؟ هذا صحيح . وسبب جنونى أنتى لم أصرخ مرة صرخة تشفى غليل صدرى . ان فى هذا الصدر صرخة قائمة كالشجى ، وأنا أكتمها وأداريها بثيابى . ولكن الموتى مضوا لحالهم ، وعلى أن أصمت . وهناك ألسنة الناس التى تنقد وتلدع (تخلع شالها) .

الوالد : ليس هذا يوما تتذكرين فيه هذه الأشياء .
الأم : عندما يجر الحديث الى هذا الموضوع فاننى لا أتمالك أن أتكلم ، ودواعى الكلام فيه اليوم أكثر ، لأنتى اليوم سأتبقى وحيدة فى دارى .

الوالد : حتى يرزقك الله بمن يؤنس وحدتك .
الأم : هذا أملى : الأحفاد (يجلسان) .
الوالد : أرجو أن يرزقا أولادا كثيرين . هذه الأرض

في حاجة الى سواعد كثيرة لا يتدفع لها أجر .
لا بد من صراع عنيف مع الحشائش الضارة
والأشواك والصخور التي لا يدرى أحد من أين
تأتي . هذه السواعد لا بد أن تكون سواعد
أصحاب الأرض ، سواعد تزيل العقبات وتسود
هذه البطاح وتخرج النبات من البذور . نحن
في حاجة الى أولاد كثيرين .

الام : وعدد من البنات .. الأولاد تمضى بهم الرياح ،
لأنهم مضطرون الى حمل السلاح ، أما البنات
فلا يخرجن الى عرض الطريق أبدا .

الوالد : (في سرور) سيرزقان بنين وبنات .

الام : سيكفلها ولدى كفاية كاملة . انه من بذرة
صالحة . كان من الممكن أن يكون لأبيه أولاد
كثيرون منى .

الوالد : ليت ما نرجوه يتم في يوم واحد ، فتراهما سريعا
ولهما ولدان أو ثلاثة .

الام : ولكن هذا لا يحدث . لا بد من وقت طويل ،
ولهذا يفجع الواحد منا اذ يرى دمه مرافقا على
الأرض . فيض من الدم يضيع في دقيقة بعد أن

كَلَّفْنَا سنوات وسنوات . عندما أدركت ابني
وجدته مسجى على الأرض فى وسط الطريق .
خضبت يدى بدمه ولعقتها ، لأنه دمي .. أنت
لا تعرف هذا .. كنت أود لو جمعت التراب
المخضب بالدم وحفظته فى اناء من البلور
والثوباز .

الوالد : الآن عليك أن تصبرى .. ان ابنتى ولود وابنك
عفى .

الام : هذا ما أرجوه (ينهضان) .

الوالد : أعدى أطباق القمح .

الخادمة : انها معدة .

زوجة ليوناردو : (داخلة) زواج مبارك !

الام : شكرا .

ليوناردو : هل ستقيمون حفلا ؟

الوالد : حفلا صغيرا ، الناس لا يستطيعون البقاء طويلا .

الخادمة : حضر الناس .

(يدخل الضيوف فى جماعات مرحة .

يدخل العروسان ويد أحدهما فى يد الآخر .

يخرج ليوناردو)

- العريس : لم نشهد مثل هذا الجمع في زفاف آخر .
- العروس : (في ضيق) أبدا .
- الوالد : كان زفافا بديعا .
- الأم : عائلات بأسرها حضرت .
- العريس : بل حضر ناس لم يخرجوا قبل ذلك من بيوتهم .
- الأم : أبوك أحسن العرس ، وأنت تحصد ما زرع .
- العريس : كان هناك أبناء عم لي لم أرهم من قبل .
- الأم : كل أهل الساحل حضروا .
- العريس : (في سرور) لقد أفرغتهم الخيل .
- الأم : (للعروس) فيم تفكرين ؟
- العروس : لا أفكر في شيء .
- الأم : عندما تحل البركات يحس الانسان بثقلها .
(يسمع عزف قيثارات)
- العروس : في ثقل الرصاص .
- الأم : ولكن لا ينبغي أن تثقل كاهلك ، ينبغي أن تكوني مرحة كأنك حمامة .
- العروس : هل سبقين هنا هذه الليلة ؟
- الأم : لا .. بيتي ليس فيه أحد .
- العروس : ينبغي أن تبقى .

الوالد : (لأم العروس) انظري .. لقد اصطفوا للرقص .
سيرقصون رقصات من شاطئ البحر .
(يدخل ليوناردو ويجلس . زوجته تقف
جامدة خلفه)

الأم : انهم أبناء عم زوجي ، وهم في الرقص جامدون
كالأحجار .

الوالد : يسرني أن أراهم .. أي تغيير طراً على هذا
البيت ! (يذهب) .

العريس : (للعروس) هل أعجبتك الزهور ؟

العروس : (تنظر اليه نظرة فاحصة) نعم .

العريس : كلها زهور صناعية من الشمع . ستبقى الى
الأبد ، كم كنت أتمنى لو وضعت منها على
ثيابك كلها .

العروس : لا ضرورة لذلك .

(ليوناردو يمضي الى جهة اليمين)

الفتاة الأولى : (للعروس) تعالي لننزع الدبايس من شعرك .

العروس : (للعريس) سأعود حالاً .

زوجة ليوناردو : أرجو أن تسعد مع ابنة عمي .

العريس : لا أشك في ذلك .

زوجة ليوناردو : ستبقيان هنا معا ولا تخرجان أبدا ، وستبقيان
بيتكما . ليتنى أنا أيضا أوفق الى هذا المدى .

العريس : لماذا لا تشترون أرضا ؟ .. الأرض في سفح
الجبل رخيصة والأولاد ينشأون فيها أحسن ..

الزوجة : ليس لدينا مال ، وخاصة اذا استمرت حياتنا
على هذه الصورة ..

العريس : ان زوجك يحسن العمل .

الزوجة : نعم ، ولكنه يحوِّم ويطير أكثر مما ينبغي ،
ويتنقل من شيء الى شيء . انه رجل لا يعرف
الهدوء .

الخادمة : (للعريس وزوجة ليوناردو) ألا تتناولان شيئا ؟
سأعد لأمك ربة من كعك النبيذ ، انها تحبه
جدا .

العريس : أعدى لها ثلاث ربات .

زوجة ليوناردو : لا .. لا .. نصف ربة تكفى .

العريس : ولكن هذا يوم فريد .

الزوجة : (للخادمة) وليوناردو ؟

الخادمة : لم أره .

العريس : لا بد أنه مع الناس .

- الزوجة : سأذهب لأرى (تذهب) .
 الخادمة : (تنظر الى الراقصين) ما أجمل هذا !
 العريس : وأنت ؟ ألا ترقصين ؟
 الخادمة : لا يطلبني أحد للرقص .

(تمر فتاتان في صدر المنظر . خلال هذا
 المشهد كله ينبغي أن يكون صدر المسرح
 عامرا بحركة الناس)

العريس : هذا لأنهم لا يفهمون . ان النساء الناضجات

مثلك يرقصن أحسن مما ترقص الشابات ..

الخادمة : أتريد مغازلتى يا ولد ؟ .. أى أسرة أسرتك !

رجال من ظهور رجال .. لقد شهدت وأنا طفلة

زفاف جدك .. أى منظر ! كأنما كانوا يزفون

جبلًا !

العريس : انتى أقصر منه .

الخادمة : ولكن نفس البريق فى عينيك .. والعروس ،

أين هى ؟

العريس : ذهبت تنزع اكليها .

الخادمة : أه .. اسمع : بما أنكما لن تكونا نائمين فى

الليل ، فقد أعددت لكما فخذًا من لحم الخنزير

وبضعة أكواب كبار من الخمر المعتقة .. ستجدها
على الرف الأسفل في خزانة الطعام .. لعلكما
تحتاجان إليها ..

- العريس : (باسم) لا آكل في منتصف الليل ..
الخدّامة : (في خبث) اذا لم تأكل أنت .. أكلت العروس
(تذهب) .
الفتى الأول : (داخلا وموجها الحديث للعريس) لا بد أن
تشرب معنا .
العريس : انى أنتظر العروس .
الفتى الثانى : ستكون معك فى الفجر ..
الفتى الأول : تلك أحسن لحظة للشراب ..
الفتى الثانى : لحظة قصيرة معنا !
العريس : هيا بنا .

(يخرجون . تسمع أصوات عالية وضوضاء
ناس أخذهم حماس الحفل . تدخل
العروس . من الباب المقابل تدخل فتاتان
تعدوان نحوها)

- الفتاة الأولى : (للعروس) لمن أعطيت الدبوس الأول ؟ لى أم
لهذه ؟
العروس : لا أذكر .

الفتاة الأولى : أعطيتيه هنا ..

الفتاة الثانية : بل أعطيتيه عند المذبح .

العروس : (فى حالة اضطراب . يبدو أنها تغالب صراعا

داخليا) لا أعرف شيئا ..

الفتاة الأولى : المسألة أتنى أريد منك ..

العروس : (مقاطعة) لا يعينى ما تريدن .. لدى أشياء

كثيرة أفكر فيها ..

الفتاة الثانية : معذرة (ليوناردو يمر من ناحية لتاحية فى صدر

المنظر) .

العروس : هذه اللحظة من العمر لحظة اضطراب شديد ..

الفتاة الأولى : لا علم لنا بذلك ..

العروس : ستعرفان هذا عندما يجيء دوركما فى الزواج ..

هذه خطوات عسيرة ..

الفتاة الأولى : هل ضايقتك الزفاف ؟

العروس : لا ، أرجو كما المعذرة ..

الفتاة الثانية : عن ماذا ؟ ولكن الدبوسين يساعدان على

الزواج .. أليس كذلك ؟

العروس : نعم .. الاثنان ..

الفتاة الأولى : واذن فستتزوج احدانا قبل الأخرى ..

- العروس** : الى هذا الحد مشتاقتان الى الزواج ؟
- الفتاة الثانية** : (فى خجل) نعم ..
- العروس** : لماذا ؟..
- الفتاة الأولى** : لأنه .. (تعانق صاحبته . تجربان خارجتين .
يقبل العريس خلف عروسه ويطوقها بذراعيه) .
- العروس** : (فى فزع شديد) دعنى ..
- العريس** : تفزعين منى ؟..
- العروس** : آه .. أهو أنت ؟
- العريس** : ومن غيرى ؟ (لحظة صمت) اما أبوك واما أنا ..
- العروس** : صحيح ..
- العريس** : لو كان أبوك لضمك أرفق منى ..
- العروس** : طبعا ..
- العريس** : (يعانقها فى قوة وفى شىء من المفاجأة) لأنه
عجوز ..
- العروس** : (فى جفاء) دعنى ..
- العريس** : ولم ؟ (يتركها) .
- العروس** : لأن .. لأن الناس يروننا (تمر الخادمة من
خلفهما دون أن تنظر اليهما) .
- العريس** : وماذا فى هذا ؟ لقد تزوجنا ..

- العروس : صحيح .. ولكن دعنى الآن .. فيما بعد ..
- العريس : ماذا بك ؟ كأنك خائفة ؟ ..
- العروس : مابى شىء .. ابق الى جانبى (تدخل زوجة ليوناردو) .
- زوجة ليوناردو : لا أريد ازعاجكما ..
- العريس : قولى ما تريدین .
- الزوجة : هل مر زوجى من هنا ؟
- العريس : لا .
- الزوجة : انتى لا أجده ، وحصانه ليس فى الحظيرة .
- العريس : (فى سرور) لا بد أنه خرج يجرى به شيئا .
- (تذهب زوجة ليوناردو بادية القلق .
تدخل الخادمة الى المسرح)
- الزوجة : أَلستما سعيدين بكل هذه التمنيات الطيبة ؟
- العروس : أود لو ينتهى ذلك .. ان العروس متعبة بعض الشىء .
- الزوجة : ما هذا يا بنتى ؟ ..
- العروس : أشعر وكأن ضربة أصابت رأسى ..
- الزوجة : عروس من بنات هذه الجبال .. لا بد أن تكون غفية (للعريس) أنت الوحيد الذى يستطيع أن

- يداويها .. لأنها امرأتك .. (تعدو خارجة) .
- العريس : (يضمها إليه) لنذهب الى الرقص لحظة (يقبلها) .
- العروس : (في خوف) لا .. أريد أن أستلقي في فراشي بعض الوقت ..
- العريس : اذن أرافقك ..
- العروس : مستحيل !.. وكل أولئك الناس هنا ؟.. ماذا يقولون ؟.. دعني أسترح لحظة ..
- العريس : كما تريدن .. ولكن لا تستمرى هكذا الى الليل ..
- العروس : (عند الباب) في الليل سأكون أحسن ..
- العريس : هذا ما أرجوه (تدخل الأم) .
- الأم : يا ابني !..
- العريس : أين كنتِ ؟
- الأم : وسط هذه الضوضاء كلها .. هل أنت سعيد ؟
- العريس : نعم .
- الأم : وامراتك ؟
- العريس : تستريح قليلا .. هذا يوم عسير على العرائس ..
- الأم : يوم عسير ؟ انه اليوم الوحيد الجميل . في مثل

هذا اليوم من عمري أحسست كأننا ورثت
الدينا (تدخل الخادمة وتتجه الى غرفة
العروس) هذا يوم احياء أرض وزرع شجر
جديد ..

- العريس : ستركيننا بعد الحفل ؟
الأم : نعم ، لا بد أن أكون في بيتي ..
العريس : وحدك ؟
الأم : لن أكون وحدي . ان رأسى حافل بأشياء
كثيرة ، وعامر برجال وألوان من الصراع .
العريس : ولكن هذا الصراع لم يعد له الآن محل .
(تدخل الخادمة مسرعة وتجري ثم تخرج
من باب المنظر)
الأم : ما دام الانسان حيا فالصراع قائم .
العريس : ستظل طاعتي لك كما هي ..
الأم : اجتهد في أن تكون عطوفا على زوجتك دائما ،
واذا وجدت منها مرة غرورا أو نشوزا فداعبها
دعابة تؤلمها بعض الشيء : ضمها اليك بقوة ،
أو عضها ثم قبلها بعد ذلك في رفق .. هكذا
تحول بينها وبين الغضب ، ولكنك تشعرها أنك

الرجل ، أنك السيد ، وأنتك صاحب الأمر .
هكذا تعلمت من أيبك ، والآن وقد ذهب
أبوك الى حال سييله فعلىّ أنا أن أدلك على
ما يقويك ويشد أزرك ..

العريس : سأفعل دائما ما تأمريننى به .

الأب : (داخلا) ابنتى .. أين هى ؟

العريس : انها فى الداخلى (يذهب الأب للبحث عنها) .

الفتاة الأولى : (للعريس) ليأت العروسان ، سنقوم برقصة
معا .

الفتى الأول : (للعريس) أنت ستقود الرقص .

الأب : (خارجا) انها ليست هنا .

العريس : غير ممكن ..

الأب : لا بد أنها صعدت الى الشرفة .

العريس : سأرى (يخرج) .

(تسمع أصوات وقيثارات)

الفتاة الأولى : لقد بدأوا (تخرج) .

العريس : (داخلا) ليست هناك !

الأم : (فى قلق) غير ممكن ..

الأب : أين تكون قد ذهبت ؟

الخادمة : (داخلة) البنت .. أين تكون ؟

- الأم : (في صوت جاد) لا نعرف .
 (يخرج العريس ، ويدخل ثلاثه من
 الضيوف) *
- الاب : (في قلق وحيرة) ألا تكون في الرقص ؟
 الخادمة : ليست هناك .
- الاب : (في غضب) هناك ناس كثيرون .. ايحشوا عنها .
 الخادمة : بحثت ..
- الاب : (في انفعال) اذن أين هي ؟
 العريس : (داخلا) لا أثر لها في أى مكان ..
- أم العريس : (لوالد العروس) ما هذا ؟ أين ابنتك ؟
 (تدخل زوجة ليوناردو)
- زوجة ليوناردو : هربا .. هربا معا ! هي وليوناردو ، هربا على
 الحصان .. هربا متعاقبين كأنهما سهم مارق .
- الاب : غير صحيح .. ابنتى لا تفعل ذلك .
 الأم : بل تفعله .. انها نبتة من أم سيئة .. وهو مثلها ..
 ولكنها الآن زوجة ابنى .
- العريس : (داخلا) سنتعقبهما .. من لديه حصان ؟
 الأم : من لديه حصان الساعة ؟ .. من لديه حصان ؟ ..
 سأعطيه فيه كل ما أملك ، وعيني ، وحتى
 لسانى ..

أصوات

: هاكم حصانا ..

الأم : (لابنها) امض في طلبهما (يمضى في رفقة

شاين) لا .. لا تذهب ، هؤلاء ناس يقتلون

بسرعة ، ويحسنون القتل .. ولكن .. أجل ..

امض ، امض سريعا وسأبعك ..

الأم : هذا لا يمكن أن تفعله ابنتي .. قد تكون ألفت

نفسها في البر.

الأم : الذين يلتقون أنفسهم في الماء هم الأشراف ، هم

الأطهار .. أما هذه فلا .. ولكنها الآن زوجة

ابني . هنا فريقان من الناس (يدخل الجميع)

أسرتي وأسرتك .. اخرجوا كلكم من هنا ..

انفضوا غبار أحذيتكم .. سنمضى لنصرة ابني

(يفترق الناس فريقين) ان وراءه أسرته .. أبناء

عمه من السواحل ، وكل الذين أتوا من

الداخل .. اخرجوا من هنا ، امضوا في كل

طريق . حانت ساعة الدم مرة أخرى . سنخرج

فريقين : أنت ومن معك ، وأنا ومن معي ..

خلفهما !.. خلفهما !..

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

(في غابة ، والوقت ليل . جذوع اشجار ضخمة عليها بلل
المطر . جو مظلم . يسمع صوت قيثارتين (آلتى فيولين) .
(يدخل ثلاثة من الخطابين)

الخطاب الأول : هل وجدوهما ؟

الخطاب الثاني : لا ، ولكنهم يبحثون عنهما في كل مكان .

الخطاب الثالث : سيعثرون عليهما .

الخطاب الثاني : شنشت !

الخطاب الثالث : ماذا ؟

الخطاب الثاني : يبدو أنهم يقتربون من كل الطرق في آن واحد .

الخطاب الأول : عندما يطلع القمر سيرونهما .

الخطاب الثاني : كان ينبغي أن يدعوها وشأنها .

الخطاب الأول : الدنيا كبيرة وفيها متسع للجميع .

الخطاب الثالث : سيقتلونهما ..

الخطاب الثاني : ينبغي أن يتبع كل انسان هواه ، لقد أحسننا
اذ هربا .

الخطاب الأول : كان كل منهما يخدع الآخر ، ولكن نداء الدم
غلب .

الخطاب الثالث : الدم !

الخطاب الأول : على الانسان أن يسير في الطريق الذى يقوده
اليه دمه ..

الخطاب الثاني : ولكن الدم الذى يرى النور تشربه الأرض ..

الخطاب الأول : وما الضرر فى ذلك ؟ خير للانسان أن يتصفى
دمه ويموت من أن يعيش ودمه متعفن فى
جسده .

الخطاب الثالث : اصمتا ..

الخطاب الأول : ماذا ؟ هل تسمع شيئا ؟ ..

الخطاب الثالث : أسمع غناء صرّار الليل وثقيق الضفادع
وأحس تربص الليل ..

الخطاب الأول : ولكن ، لا أتر للحصان .

الخطاب الثالث : لا أتر ..

الخطاب الأول : لا بد أنه يجبها الآن ..

الخطاب الثاني : كان جسدها مقدر لها وجسده مقدر لها ..

الخطاب الثالث : سيعثرون عليهما وسيقتلونهما .

الخطاب الأول : ولكن حتى يجدوهما يكون دمهما قد اختلط

وأصبحا كإناءين فارغين أو كنهرين جافين ..

الخطاب الثاني : السماء مغطاة بالسحب ، ولن يستطيع القمر

الظهور .

الخطاب الثالث : سيجدهما الزوج على ضوء القمر أو بدونه .

لقد رأيته خارجا في طلبهما كأنه شهاب غاضب .

كان وجهه في لون الرماد وفي ملامحه ارتسم

مصير قومه جميعا .

الخطاب الأول : قومه القتلى وأجسادهم طريحة في عرض

الطريق .

الخطاب الثاني : أصبت !

الخطاب الثالث : تظن أنهما سيستطيعان الإفلات من الحصار ؟

الخطاب الثاني : ذلك صعب جدا .. هناك سكاكين وبنادق محيطة

بهما على مدى عشرة فراسخ .

الخطاب الثالث : معه حصان جيد .

الخطاب الثاني : ولكن معه امرأة ..

الخطاب الأول : نحن قريون منهما الآن .

الخطاب الثاني : بقيت شجرة ذات أربعين غصنا ، الآن تقطعها
وننتهي .

الخطاب الثالث : الآن يطلع القمر .. لتسرع الآن .

(نور يضيء الجانب الأيسر من المنظر)

الخطاب الأول : أيها القمر الطالع

تبدئي بين أوراق كبار

الخطاب الثاني : نورك يصبغ الياسمين بلون الدم

الخطاب الأول : أيها القمر الوحيد

تبدى بين أوراق خضراء

الخطاب الثاني : كفضة على وجه العروس

الخطاب الثالث : أيها القمر الشرير

دع للهوى غصنا ظليلا

الخطاب الأول : أيها القمر الحزين

دع للهوى غصنا ظليلا

(يخرجون . يظهر القمر في الجانب المضيء

من المنظر على اليسار . يبدو في هيئة

حطاب شاب ناصع الوجه . ينتشر على

المسرح ضوء أزرق ساطع)

القمر : بَجَع " سابع وسط النهر

عين ترنو وسط جدران الكنيس

فجر كاذب بين أوراق الغصون
هذا أنا ، ومنى لا هروب .
مَن هذا الذى يتخفى ؟ ومن ذا ينتحب
بين أشجار الشوك فى بطن الوادى ؟
ان القمر يرمى مديّة
ويدعها فى الهواء عالقة ،
نصل يتربص فى ثقل الرصاص
مشتاقا الى أن يصير
ألماً ينزف الدماء .
دعونى أدخل ، لقد أقبلت مقرورا
من النوافذ والجدران .
اكشفوا السقوف وافتحوا الصدور
لكى أدخل وأستدق .
أحس بردا ، ولى رماد
من معادن مستسلمة للرقاد
تبحث عن قمة النار
على أعالي الجبال والطرقات .
ولكن الثلج يحملنى
على ظهره المتجمد

وفي مياه المستنقعات القاسية الباردة

تتراءى ظلالى

ولكن ، هذه الليلة سيجرى

فى وجنتى دم نجيع

ومنه سيرتوى القصب المتراكم

فى مهاب الرياح العاتية .

لتختفِ المخابىء والظلال

لكيلا يتمكننا من الفرار

فاتنى أريد أن أستقر فى صدر

أظفر فيه بالدفء

قلب خالص لى

دافىء يسكب ما فيه

على جبال صدرى

دعونى أدخل ! أى ، دعونى !

(متحدثا الى الفصون)

لا أريد ظللا فان شعاعى

لا بد أن ينفذ فى كل مكان ،

حتى الظلمة بين الجذوع

لينفذ فيها قبس من ضياء

فهذه الليلة لا بد أن تظفر وجنتاي
 وأكوام القصب المتراكم
 عند مهاب الرياح العاتية
 بفيض من عذب الدماء
 من ذا يخفى ها هنا ؟ اخرج أقول !
 لا ، لا سبيل الى الفرار
 سأسكب من ضيائي على الحصان
 نارا تتوهج كالماس

(يخفى بين الأشجار ويعود الظلام فيشمل
 المنظر . تخرج امرأة عجوز مغطاة تماما
 بثياب رقيقة خضراء داكنة . تظهر
 حافية القدمين ، وجهها لا يكاد يبدو بين
 طيات الثياب . هذه الشخصية غير مذكورة
 بين شخصيات المسرحية)

المتسولة : هذا القمر يولي ، وهما يقتربان .
 لن يمر من هنا ، فان همس مياه النهر
 وأزيز الرياح بين جذوع الأشجار
 سيكتمان صرخاتهما أن تذيع
 هنا ، وعاجلا ، لا بد أن يقع المحذور .
 لقد وهنت قواي .

التواييت مفتوحة تترقب ،
 والأكفان تنتظر على فراش الزفاف .
 جسدين ثقيلين مقطوعى الوريد
 لا يستيقظن طير" ، ولا يجر نسيم
 حاملا فى طياته أنينهما
 وطائراً به الى قمم الأشجار السوداء
 أو يعييه فى ترب رقيق
 (فى سجر)

هذا القمر ! هذا القمر !

(يظهر القمر مرة أخرى ويعود الضوء
 الأزرق الساطع)

القمر

: ها هم أولاء قادمون

بعضهم على الطريق الصغير

وآخرون على طريق النهر

الآن أضىء أحجار الطريق (موجها الحديث

للمسولة) ماذا تريدان ؟

المتسولة : لا شىء !

القمر : الآن تهب الرياح فى عنف بسلاخ ذى حدين .

المتسولة : ألق ضوءك على الصدور وافتح أزرار الثياب

والأسنة بعد ذلك تعرف طريقها .

القمر : ولكن ، ليكن موتهما بطيئا ، حتى يستطيع
الدم

أن يجرى بين أصابعى همسه الرقيق
انظري ، ها هي وديانتي تصحو ، وهي من رقاد
مشتاقه لفيض الدم المتحدّر .

المتسولة : لن ندعهما يعبران النهر . صمتاً !

القمر : ها هم أولاء قادمون .

(يختفى القمر . يعود الظلام الى المسرح)

المتسولة : أسرع بفيض النور ، أسمعني ؟

لا سبيل الى الفرار

(يدخل العريس مع الفتى الأول . تجلس

المتسولة وتتغطى بثوبها)

العريس : من هنا ؟ ..

الفتى الأول : لن تجدهما ..

العريس : بل سأظفر بهما ..

الفتى الأول : أظن أنهما سلكا طريقا آخر .

العريس : لا ، من لحظة أحسست عدو الحصان .

الفتى الأول : قد يكون حصانا آخر .

العريس : (فى انفعال) اسمع ، ليس فى الدنيا غير حصان

واحد ، هو هذا ، أفهمت ؟ اذا كنت ستتبعنى
فاتبعنى صامتا .

الفتى الأول : أردت ..

العريس : اسكت . أنا واثق أتنى سأجدهما هنا .. أترى

هذه الذراع ؟ انها ليست ذراعى ، بل ذراع
أخى وأبى والذين ماتوا من قومي . وفى هذه
الذراع من القوة ما أستطيع بها اقتلاع هذه
الشجرة من أصلها لو أردت . لنمض من هنا ،
فانى أحس كما لو كانت أسنان أهلى كلهم قد
انتشبت هنا حتى لا أستطيع أن أتفس .

المتسولة : (متوجعة) أى !

الفتى الأول : هل سمعت ؟

العريس : امض من هنا ، ودر دورة ..

الفتى الأول : ما هذه الاحملة صيد .

العريس : نعم ، صيد . انه أكبر صيد يمكن أن يكون .

(يذهب الفتى الأول . يسير العريس

مسرعا ناحية الشمال فيتعثر فى المتسولة

وهى رمز للموت)

المتسولة : أى !

العريس : ماذا تريدين ؟

- التسولة : أشعر ببرد .
- العريس : الى أين تمضين ؟
- التسولة : (مستمرة في التوجع على طريقة التسولين)
هناك بعيداً .
- العريس : من أين أتيتِ ؟
- التسولة : من هناك ، من بعيد جداً .
- العريس : هل رأيتِ رجلاً وامرأة على ظهر حصان ؟
- التسولة : (كأنها تستيقظ) انتظر (تنظر اليه) فتى
جميل .. (تنهض) ولكنك تكون أجمل وأنت
طريح .
- العريس : قولى لى ، أجيبنى ! أرايتهما ؟
- التسولة : صبراً .. ما أعرض منكيبك ! كيف لا تريد أن
تكون موسداً عليهما بدلا من السير على قدميك
الصغيرتين هاتين ؟
- العريس : (يهزها في عنف) سألتكِ هل رأيتهما ؟ .. هل
مرّاً من هنا ؟
- التسولة : (في حماس) لم يمرا بعد ، ولكنهما خارجان
الآن من وراء التل .. ألا تسمعهما ؟
- العريس : لا .

التسولة : ألا تعرف الطريق ؟

العريس : سأذهب أيا كان هذا الطريق .

التسولة : سأرافقك . اننى أعرف هذه الناحية .

العريس : (متعجلا) فلنذهب اذن .. من أين ؟

التسولة : (فى لهجة درامية) من هناك .

(يخرجان مسرعين . صوت آلتى فيولين -

ترمزان الى الغابة - يسمع من بعيد .

يعود الحطابون يحملون قؤوسهم على

أكتافهم . يسرون فى بطاء بين جذوع

(الأشجار)

الخطاب الأول : أيها الموت المطل

زاحفا من بين أوراق كبار

الخطاب الثانى : لا تطلقن فيض الدماء !

الخطاب الأول : أيها الموت .. القادم وحيدا

أيها الموت الرابض بين الأوراق اليابسة

الثالث : لا تنثر الأزهار على الزفاف

الرابع : أيها الموت الحزين

تق للحب غصنا أخضر

أت الخبيث

أغصنا أخضر

ون خارجين وهم يتحدثون . يدخل

و والعروس)

- كيوناردو : اصمتي !
- العروس : من هنا سأمضي وحدي
أذهب الآن ، أريد أن تعود
- كيوناردو : قلت لك اسكتي !
- العروس : بأسنانك أو بيديك ، بأي شيء تستطيع
انزع عن عنقي الطاهر
معدن ذلك القيد
ودعني أعش في نسيان
هناك في بيت من الطين
وإذا لم تكن تريد قتلي
كما تقتل حية صغيرة
فضع في يدي ، يدي العروس
قناة البندقية
آه ، أية حسرة وأية نار
تصعد وتحرق رأسي !
وأية شظايا أحسها اتشبت في لساني
- كيوناردو : الآن وقد قطعنا الشوط ، اصمتي
لأنهم في أعقابنا عن كتب

ومعى لا بد أن آخذك

العروس : لن يكون هذا إلا على الرغم منى :

ليوناردو : على الرغم منك ؟ من منا نزل

سلم الدار أولاً ؟

العروس : أنا نزلت أولاً

ليوناردو : من كان الذى وضع

للحصان لجاماً جديداً ؟

العروس : أنا بنفسى ، هذا حق

ليوناردو : ويد من كانت التى

وضعت قدمى فى الركاب ؟

العروس : يداى هاتان ، وهما طوع أمرك

ولكنهما — اذ تريانك — تريدان

أن تقطعا العروق الزرقاء

وتوقفا خفق الدم فى شرايينك

اتى أحبك .. أحبك ، ولكن الآن دعنى

فلو أتى استطعت الآن قتلك

لفعلت ، ووضعتك فى كفن

وزينت أطرافه بشرائط من بنفسج

أه ، أية حسرة ، وأية نار

تصعد وتحرق رأسي !

ليوناردو : أية شظايا أحس لذعها في لساني

لأنني أردت نسيانك

وأقمت جداراً من حجر

بين داري ودارك

ذلك حق .. ألا تذكرين ؟

وعندما رأيتك من بعيد

ذرت في عيني رملاً

ولكنني كنت أمتطي حصانا

والحصان مضى بي إلى بابك

وعندما رأيت اكليل الفضة على رأسك

استحال دمي أسود فاحماً

ودارت الأحلام في رأسي وأشاعت

الروح الخبيث في جسدي

والذنب في هذا لم يكن ذنبي

وانما هو ذنب التراب

وذنب ذلك العطر الذي

ينبعث من صدرك وشعرك

العروس : أي .. أي جنون هذا .. أنا لا أريد

منك فراشا ، أو طعاماً معك
ومع هذا ، فما تمر لحظة من نهار
إلا وأشتهى أن أكون بقربك
فإنك تنزعني في عنف ، وأطيع
ثم تأمرني أن أعود
وأنا أتبعك طائفة في الهواء
كأنني عشب يميل مع الريح
لقد تخليت عن رجل صلب العود
وزهدت في نسله جميعاً
ومضيت على وجهي يوم الزفاف
وعلى رأسي اكليل العروس
بك أنت سينزل العقاب
وهو أمر لا أريده
أتركني وحدي ، وانج بنفسك
فليس هناك من يحميك

تليوناردو : هذي طيور الصباح

تتحرك في غصون الشجر

هذا الليل يلفظ أنفاسه

على حافات الصخور

هيا بنا الى ركن مظلم

أنعم فيه بحبك أبدا

فانتى لا أحفل بالناس

ولا بالسهم الذى يطرحون

(يعانقها فى قوة)

العروس

: وأنا ، عند قدميك سأنام

ساهرة على أحلامك

عارية ، أنظر الى البطاح

(فى حزن) كأننى كلبة يقضى

فتلك هى حقيقتى ، يكفى أن أنظر اليك

ليحرقنى جنالك

ليوناردو

: هذه نار تحرق ناراً

ونفس الشعلة الصغيرة

تحرق سنبلتى قمح معا ..

هيا بنا ! (يجذبها)

العروس

: الى أين تمضى بى ؟

ليوناردو

: الى حيث لا يستطيع الوصول

أولئك الذين يحيطون بنا

هناك أستطيع أن أنظر اليك

العروس : (ساخرة)

يمضى بي من سوق لسوق ؟

عار على امرأة طاهرة

أن يراني الناس أجمعون

وأعطية سرير زفافي

تخفق في الهواء كأنها أعلام

ليوناردو : أنا أيضا وددت لو تركتك

لو أنني أفكر كما يفكر الناس

ولكنني الي حيث تمنضين أمضى

وأنت أيضا مثلي ، سيرى ، حاولي ..

لقد شكّد رباط من ضوء القمر

وسطى الي خصرك

(يدور هذا المنظر كله في عنف ، تشيع

فيه روح الاشتهاء)

العروس : أتسمع ؟

ليوناردو : ناس مقبلون ؟

العروس : انج بنفسك

هنا ، من العبدل أن ألقى المنية

وقدماي تخوضان الماء

والشوك يجلل رأسى
ولتبك أوراق الشجر
على امرأة ضلت وهى عذراء !

ليوناردو : اصمتى ، الآن الينا يصعدون

العروس : اذهب !

ليوناردو : صمتا ، كيلا يحسوا بنا .

امضى أمامى ، قلت .. هيا بنا .

العروس : (تردد) نمضى معا ؟

ليوناردو : (يعاقبها) أى طريق تريدين .

إذا فرقوا بيننا

فلن يكون هذا الا بعد موتى

العروس : وبعد موتى أيضا .

(يخرجان متخاصرين)

(يظهر القمر فى بظء شديد . يتسرع فى

المسرح ضوء أزرق ساطع . يسمع صوت

القيثارتين . فجأة تسمع صرختان عنيفتان

ويتوقف عزف القيثارتين . عندما تنطلق

الصرخة الثانية تظهر المسولة وتقف

وظهرها للجمهور . ترفع يديها وتفتح

رداءها وتظل وسط المسرح كأنها طائر

ذو جناحين هائلين . يقف القمر . الستار

يبهط فى صمت تام)

المنظر الأخير

(قاعة مطلية الجدران باللون الأبيض ، تتكون من أقواس
(بواكى) وجدران سميقة . على اليمين واليسار سلام بيضاء .
صدر المنظر قوس كبير وجدار بنفس اللون . الأرضية أيضا
ينبغي أن تكون بيضاء ناصعة . هذه الغرفة البسيطة ينبغي
أن تحكى للنظارة في جوها وعمارتها جو كنيسة . لا ينبغي أن
يكون فيها شيء رمادى اللون ، ولا تكون فيها ظلال ، حتى الظلال
التي تستدعيها طبيعة المناظر) .

(فتاتان في ثياب زرقاء داكنة تفكان كرة
من الصوف الأحمر) .

الفتاة الأولى : كرة الصوف ، يا كرة الصوف

ماذا تريدان أن تصنعى ؟

الفتاة الثانية : ثوبا كأنه الياسمين .

صوف رقيق كأنه البلور

يولد في الساعة الرابعة

ويموت في الساعة العاشرة

خيط من هذا الصوف

يصبح قيذاً على قدميك

ووثاقا يشد الى رأسك

تاج الغار المرير

طفلة : (تغنى) هل شهدتم الزفاف ؟

الفتاة الأولى : ما شهدته .

الطفلة : ولا أنا كنت هناك !

ماذا يمكن أن يحدث

تحت أشجار الكروم ؟

ماذا يمكن أن يحدث

تحت أغصان الزيتون ؟

ماذا حدث

حتى أن أحداً لم يعد ؟

هل شهدتم الزفاف ؟

الفتاة الثانية : قلنا لم نشهده .

الطفلة : (وهى ذاهبة) ولا أنا !

الفتاة الثانية : كرة الصوف ، يا كرة الصوف !

ماذا تريدان أن تغنى ؟

الفتاة الأولى : جروح أصبحت جافة كالشمع

والآلام تتضوع كالريحان

رقاد في الصباح

وسهر في الليل

الطفلة

(واقفة على الباب) :

خيط الحياة يتعقد
على الصخور القاسية
والجبال الزرقاء
أذنت له في المزور
فيجري ، ثم يجري ، ثم يجري
حتى يصل في النهاية
الى أن يعمد سكيننا
ويخمد أنفاس الحياة (تذهب)

الفتاة الثانية : يا كرة الصوف ، يا كرة الصوف !

ماذا تريدان أن تقولى ؟

الفتاة الأولى : عاشقة أظلمها الصمت

وعريس مضرج بالدماء

على الضفة الساجية

رأيتهما طريحين

(تتوقف وتتأمل كرة الصوف)

الطفلة

(واقفة عند الباب) :

يجرى ، ثم يجرى ، ثم يجرى

حتى هنا ، ذلك الخيط

ها هما بالطين مجللان
 أحس بهما قادمين
 جسدين متصلين
 وأكفان في لون العجاج (تذهب)
 (تظهر زوجة ليوناردو وأم العريس وعليهما
 غلائم الفرع)

الفتاة الأولى : هل هم الآن قادمون ؟
 أم العريس : (في مرارة) لا ندرى .
 الفتاة الثانية : ماذا تحكين عن الزفاف ؟
 الفتاة الأولى : حدثيني !
 أم العريس : (في جفاء) لا شيء ..
 الزوجة : أريد أن أعود لأعرف كل شيء .
 أم العريس : (في انفعال) :

أنتِ ، الى داركِ عودي
 بأسلةً ووحيدةً تعودين الى داركِ
 لتبغى المشيب وتبكي
 ولكن خلف باب مغلق ..
 وحيدة دون رجل ، لا حي ولا ميت
 سنغلق النوافذ

ولتهطل الأمطار ، ولتهبط ظلمات الليالي،

على الأعشاب المزة

الزوجة : ماذا عساه قد حدث ؟

أم العريس : لا يهنك ما حدث

اسدلى على وجهك نقايا

أولادك هم أولادك أنت وحدك

وعلى فراشك

ضعى صليبا من رماد

حيث كانت وسادته (تخرجان)

المتسولة : (على الباب) كسرة من خبز يا صبية ..

الطفلة : اذهبي ..

(تتجمع الفتيات)

المتسولة : ولماذا أذهب ؟

الطفلة : لأنك تهرفين ، اذهبي ..

الفتاة الأولى : يا صبية !

المتسولة : كنت أستطيع أن أطلب عينيك ! ان سحابة من

الطيور تتبعني .. أتريدن واحدا ؟

الطفلة : أريد أن أذهب من هنا .

الفتاة الثانية : (للمتسولة) لا عليك منها .

الفتاة الأولى : من طريق النهر أتيت ؟

التسولة : من هنا يأتي النهر .

الفتاة الأولى : (في حياء) أستطيع أن أسألك شيئاً ؟

التسولة : لقد رأيتهما ، بعد قليل يكونان هنا .

سيلان عارمان

هدأً أخيراً بين أحجار هائلة

رجلان عند حافر حصان

غالهما الموت في ليلة ساجية

(ثم في سرور)

ميتان ، أجل ميتان !

الفتاة الأولى : اسكتي يا عجوز ، اسكتي .

التسولة : عيونهما ، زهور ذابطة .. وأسنانهما

قبضتان من ثلج جمد

سقطا معاً ، وعادت العروس

ثوبها وشعرها مخرجان بالدم

يعودان فوق كل منهما دثار

محمولين على أكتاف فتیان طوال

هذا ما حدث ، ولا زيادة . وكان عدلا .

فوق زهرة الذهب ، رمل ملوث .

(تذهب المتسولة . الفتيات تحنين رؤوسهن .
وتمضين خارجات في خطوات وثييدة
منتظمة)

الفتاة الأولى : رمل ملوث

الفتاة الثانية : فوق زهرة الذهب

طفلة : فوق زهرة الذهب

يأتون بالموتى من النهر

أسمر أولئها

أسمر ثانيها

أىء بلبل داكن ذاك الذى يحوم ويعول

فوق زهرة الذهب ؟

(تذهب . يبدو المسرح خاليا ، ثم تظهر

أم العريس وجارة لها . الجارة تدخل

باكسة

الأم : كتمى عن البكاء .

الجاراة : لا أستطيع .

الأم : قلت اسكتى . (وهى على الباب) هل من أحد

هنا ؟ (ترفع يديها الى جبهتها) ابنى . لا بد أن

يجيب . ولكن ابنى قد صار حمل ذراع من

زهر جاف . ابنى قد صار صوتا خافتا خلفه

الجبيل (للجاراة في غضب) أما تريدن أن
تصتى ؟ في هذا البيت لا أريد عويلا .
دموعكن من العين فحسب ، أما دموعي فتنهله
عندما أكون وحدي .. تتبع من اخمص
قدمي .. من صيمي .. تندفق أحرى من الدماء .
الجاراة : تعالي الي داري ، لا تبقى هنا وحدك .

الأم : هنا أريد أن أكون ، هنا في هدوء .. الآن قد
غالبهم الموت جميعا . في منتصف الليل سأنام ،
سأنام دون أن تخيفني بعد اليوم بنديقة
أو سكين . غيرى من الأمهات سيقين على
النوافذ ساهرات وعلى رؤوسهن يهطل المطر
حتى تظمن قلوبهن بطلعة أبنائهن .. أما أنا فلا ..
ومن أحلامي سأصوغ يمامة باردة من العجاج
لتحمل الي القبور زهور كاميليا مبللة بالندى ..
لا ، انها ليست روضة أموات .. انها ليست
قبورا .. بل فراشا من الثرى ، فراشا يضمهم
ويهددهم الي السماء (تدخل امرأة متشحة
بالسواد وتتجه الي اليمين ، وهناك ترقع . ثم
تقول الأم للجاراة) أنزلي يدك عن وجهك ..

أمامنا أيام رهيبة . لا أريد أن أرى أحداً . أنا
والأرض فحسب ، أنا وأحزاني وهذه الجدران
الأربعة ! أى .. أى !.. (تجلس منهوكة القوى)

الجارة : كوني رحيمة بنفسك .

الأم : (تزيح شعرها الى الوراء) لا بد أن أملك زمام

نفسى (تجلس) لأن الجارات سيأتين ولا أريد
أن يريننى فى هذه التعاسة ، فى هذا البؤس !
امرأة ليس لها ولد واحد تضمنه الى شفيتها .

(تظهر العروس ، لا تحمل على رأسها
اكليل الزهور ، متدثرة بمعطف أسود)

الجارة : (فى غضب عندما ترى العروس) أين تذهبين ؟

العروس : هنا .

الأم : (للجارة) من هذه ؟

الجارة : ألا تعرفينها ؟

الأم : لهذا أسألك من هى ؟ لأننى لا ينبغي أن أعرفها

حتى لا أنشب أسناني فى عنقها . أيتها الحية

الرقطاء . تتجه نحو العروس فى غضب شديد

ثم تتوقف ، وتقول للجارة) أترينها ؟ ها هى

هنا ، وهى تبكى .. وأنا هنا واقفة ساكنة دون
أن أنزع عينيها من وجهها ! لا أفهم نفسى ..
أترانى لم أكن أحب ابنى ؟ ولكن شرفه ؟ أين
شرفه ؟ (تضرب العروس فتقع هذه على
الأرض)

الجاره : يا الهى ! (تحاول أن تحول بينهما) .

العروس : دعيتها .. أتيت الى هنا لتقتلى وليحملونى معها
(للام) ولكن لا تقتلنى بيديك بل بخطايف
من حديد ، بل بفأس ، واضربى فى عنف حتى
تتحطم الفأس على عظامى .. دعيتها ، فانتى أريد
أن تعرف أنتى طاهرة .. انتى قد أكون مجنونة ،
ولكنهم يستطيعون أن يوارونى التراب ولما تقع
عين رجل على بياض صدرى ..

الام : اصمتى ! اصمتى ! وماذا يهمنى أنا ذلك ؟

العروس : لأنتى مضيت مع رجل آخر .. نعم مضيت !
(فى خوف) أنت أيضا كنت تفعلين لو كنت
مكاني . كنت امرأة تحترق بالشوق ، مثقلة
بالقروح من داخل ومن خارج . وكان ابنك

بالنسبة لى سؤراً من الماء رجوت منه الولد
 ومِلك الأرض والعافية ، أما الآخر فكان نهرًا
 أسمر مليئًا بالأعشاب حَمَل اليّ الصوت
 المكتوم لتدافع الماء بين صخوره ونشيدته
 الهامس . ومضيت مع ابنك . كما أمضى مع طفل
 صغير أحس معه وكأني فى ماء بارد ، بينما كان
 الآخر يبعث علىّ مئات من الطيور أسرابًا
 تعترض طريقى وتترك تقطا من الندى فوق
 جروحي ، جروح امرأة مسكينة ذابلة ، جروح
 امرأة يداعبها اللهب . لم أكن أريد متابعتة ،
 اسمعى هذا جيدا ، لم أكن أريد . كان ابنك
 غاية منأى ، ولم أخدعه ، ولكن ذراع الآخر
 انتزعتنى كأنها موجة طاغية جرتنى جراً عنيفا ..
 وكانت هذه الذراع ستظل تجرني فى عنف
 دائما ، دائما ، دائما حتى لو أتتى صرت عجوزًا
 يمسك بشعرى أجفادك جميعا ..
 (تدخل جارة)

: هى لا لوم عليها ، ولا علىّ (فى سخرية) على
 من اذن ؟ انها امرأة هزيلة قلقة المضجع تلك التى

الأم

ترمى باكليل العروس وتجرى تلتبس ركنا من
فراش أدفأته امرأة أخرى ..

العروس : اسكتى ، اسكتى ! خذى ثأرك منى ، وها أنا
أمامك ! انظرى فعنقى رقيق . وقطعه أهون
عليك من قطع زهرة دالية فى حديقتك .. ولكنى
أنكر ما تقولين . انتى طاهرة ، طاهرة كطفلة
ولنت لتوها ، ولدى من القوة ما أثبت لك به
طهارتى : أشعلى النار وتعالى نضع يدينا فيها :
أنت لاثبات حق ابنك ، وأنا لاثبات طهارة
جسدى .. ستسجين يدك قبلى ..
(تدخل جارة أخرى)

الأم : ولكن ، ماذا تعينى أنا طهارتك ؟ فيم يعينى
موتك ؟ فيم يعينى أى شىء فى هذا الوجود ؟
ليبارك الله سنابل القمح لأن أولادى يرقدون
تحتها ! ليبارك الله المطر لأنه يندى وجوه
الموتى ! وتبارك الله الذى يجمعنا معاً فى لحد
واحد فى راحة الأبد !
(تدخل جارة أخرى)

العروس : دعينى أبك معك !

الام

: ابكى .. ولكن لدى الباب .

(تدخل الطفلة . العروس تقف عند الباب

والأم في وسط الحجرة . تدخل زوجة

ليوناردو وتتجه الى اليسار)

زوجة ليوناردو : كان فارساً جميلاً

واليوم هو كومة من الثلج

كان يمضى الى الأسواق ويقطع الجبال

ويجربى الى أحضان النساء

والآن يكلل جبهته بالليل

نبات أسود خالك

: كنت لأمك زهرة الشمس

الام

ومرأة ترى الدنيا بها .

ليضعوا الآن على صدرك

صليياً من الزهر المر

وليمدوا عليك غطاء

من حرير ذى بريق

وليتجمع الماء حشرات

بين يديك الساجيتين

الزوجة : أى هؤلاء فتیان أربعة

يقبلون بكواهل متعبة

العروس : أى ! أى فتیان أربعة بواسل

يحملون الموت فى الهواء !

الأم : جارات !

طفلة : (على الباب) الآن يأتون بهم

الأم : هو نفس الشئ دائما

الصليب .. الصليب

النساء : مسامير رفيقة

وصليب رقيق

واسم جميل

اسم يسوع !

العروس : ليحرس الصليب الأموات والأحياء .

الأم : أيتها الجارات ، كان ذلك بسكين

بل بسكين صغيرة

فى اليوم المقدور ، بين الثانية والثالثة

قتل كل من الرجلين الآخر ، فى سبيل الحب .

كان ذلك بسكين

بل بسكين صغيرة

لا تكاد تملأ راحة اليد

ولكنها تنفذ دقيقة

خلال اللحم المبهور

وهناك تقف عند مكان

يرتعد فيه حيساً

أصل صرخة مدوية ..

العروس : أجل ، هذه سكين

بل سكين صغيرة

لا تكاد تستقر في الكف .

سمكة دون قشر ، ولا نهر

حتى اذا كان اليوم الموعود ، بين الثانية والثالثة

بشفرة هذه السكين

أصبح رجالان جثتين هامدتين

على شفطيهما صفرة الموت

: ومع هذا ، فلا تكاد تملأ اليد

الام

ولكنها تنفذ باردة

في اللحم المبهور

وهناك تقف عند مكان

يرتعد فيه حيساً

أصل صرخة مدوية ..

(الجاررات تبكين وهن راكعات على الأرض)

ستتبار

روائع المسرح العالمي

صدر منها حتى الآن ٤٦ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيخوف
٢ -	أعمدة المجتمع	هنريك إبسن
٣ -	سيرانو دي بروجراك	ادمون روستان
٤ -	مروحة ليدي وتلرمير	أوسكار وايلد
٥ -	بنيلوبي	سمرست موم
٦ -	الضربان	هنرى بك
٧ -	البيكترا	جان جيرودو
٨ -	توركاريه	أ. ر. لوساج
٩ -	السدائرة	سمرست موم
١٠ -	شاترتون	الفرد ديقيني
١١ -	الأم	كارل تشابك
١٢ -	اللعبة القادرة	جون جالزوردي
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	مازيقو
١٤ -	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجي بيراندلو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	تسمي وليامز
١٦ -	عزيزى بروتس	ج. م. بارى
١٧ -	رجل الله	جابريل مارسيل
١٨ -	هيذا جابلر	هنريك إبسن
١٩ -	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠ -	كنوك	جول رومان
٢١ -	جونو والتاوسن	شين أوكاسي

موليير	• • • • •	٢٢ - دون جوان
فدريكو غرسيه لو	• • • • •	٢٣ - بيت برناردا ألبا
يوجين أونيل	• • • • •	٢٤ - القرد الكفيف الشعر
كريستوفر مارلو	• • • • •	٢٥ - مأساة الدكتور فوستس
كارن برامسون	• • • • •	٢٦ - الأستاذ كلينوف
ازوين شو	• • • • •	٢٧ - ثورة الموتى
أوسكار وايلد	• • • • •	٢٨ - ماتعرفه كل امرأة
جيمس بارى	• • • • •	٢٩ - أهمية أن يكون الإنسان جادا
برتولت برشت	• • • • •	٣٠ - دائرة الطباشير القوقازية
جورج برنارد شو	• • • • •	٣١ - منزل القلوب المحطمة
جوزيف أوكونور	• • • • •	٣٢ - القيثارة الحديدية
نويل كوارذ	• • • • •	٣٣ - أفكار صبيانية
آرثر وينج بنبرو	• • • • •	٣٤ - زوجة مستر تانكرى الثانية
هنريك إبسن	• • • • •	٣٥ - عندما نبعث نحن الموتى
س • ن • بيومان	• • • • •	٣٦ - لا وقت للفكاهة
جان چيروودو	• • • • •	٣٧ - سيجفريد
فريدريش دورنمات	• • • • •	٣٨ - علماء الطبيعة
يوجين أونيل	• • • • •	٣٩ - رغبة تحت شجر الدرदार
هنريك إبسن	• • • • •	٤٠ - حورية البحر
سومرست موم	• • • • •	٤١ - جزاء خدماتهم
هنريك إبسن	• • • • •	٤٢ - إيولف الصغير
موريس ماترلنك	• • • • •	٤٣ - بلياس وميليزاند
يوجين أونيل	• • • • •	٤٤ - الآله الكبير براون
رجنالد بركلي	• • • • •	٤٥ - حامله المصباح
رودلف بيزيه	• • • • •	٤٦ - آل باريت

ملتزم التوزيع في الداخل والخارج مؤسسة الخانجي بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي « القاهرة »
ومن مكتبة المثني ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت .